

د . عبد الله سرور

عبد الناصر
فى الشعر العربى الحديث

عبـد النـاصـر

فى الشعر العربى الحديث

عبـــد الناصـــر

في الشعر العربي الحديث

الدكتور

عبد الله سـرور

الطبعة الرابعة

٢٠٠٢

- الغلاف الخارجي:

تصميم الفنان/ وليــد فــاروق

- المؤلف:

الدكتور/ عبد الله سرور

أستاذ النقد والأدب الحديث المساعد

قسم اللغة العربية – كلية التربية

جامعة الإسكندرية

- الإخراج الفني والطباعة"

مطابع الفاروق – إيجيبت ماين تك

٢٠ شارع النصر – المعادى الجديدة

القاهرة – جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى ابنتى شاهيناز ...

وإلى كل زهور النقاء الثورى فى عصر العولمة

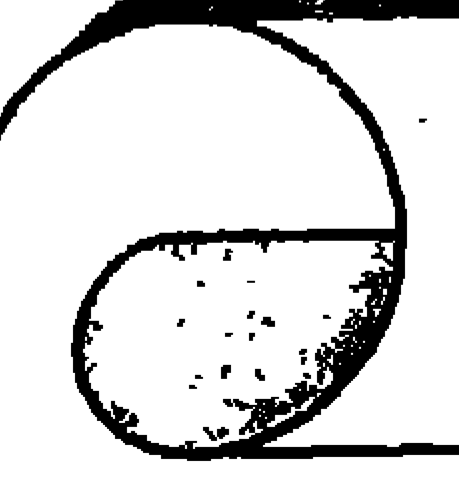
أقدم صورة ....

تضيء النفس بالعزة، وتملأ القلب بالكبرياء.

تقديم

لم يكن عبد الناصر في حياتنا حاكمًا أتى ثم مضى كما فعل غيره. ولم يكن فاعل أحداث وصانع إنجازات فقط، لكن عبد الناصر نجح في أن يحفر لنفسه مكانًا خاصًا داخل عقولنا وقلوبنا جميعًا، سواء من اتفق معه أو اختلف. ومن ثم يمكن القول في اطمئنان إن التاريخ العربي الحديث لم يعرف زعامة شغلت قلوب الجماهير وسكنت وجداناتها وحظيت بحبها مثل جمال عبد الناصر الذي قدم نموذجًا فريدًا لزعامة تاريخية فذة، ملأت الدنيا وشغلت الناس واختلفت حولها الآراء وستظل تختلف إلى أمد طويل.

وهذا الكتاب يعرض شتى نظرات الشعراء إلى عبد الناصر، ومختلف مواقفهم منه. ولذا فهو يعرض رؤية الناس لشخصية عبد الناصر في كل جوانبها العامة. فقد أفرط الشعراء في رسم ملامح وتفاصيل الشخصية الأسطورية للزعيم إلى حد بعيد يكاد يتصل بالخرافات، ويبتعد عن منطق العقل. لكن هذا التزيد والإفراط لا ينفي حقائق الواقع وجملتها أن عبد الناصر قد أحبته الجماهير وتعلقت به على نحو أسطوري.



ولقد روى عبد الناصر بموافقة الثورية عطش الجماهير إلى الثورة ضد كل مظاهر الكبت والتخلف والحرمان ، فصارت الثورة حديث الشعر . أما شخص الثائر عبد الناصر فقد غدا النموذج والمثال .

وقد اختلف مع عبد الناصر قطاع من جماهير الشعب ، و لم يكن سبب الإختلاف واحداً ، بل غير واحد ، وأيضاً لم تقع القطيعة التى بلغت حد العداء بين الأطراف فى وقت واحد ، وان كانت قد تجسدت بشكل واضح فى نهاية حكمه ، وإنما تراكمت ألوان القطيعة والخلاف والتعبير عنها شعراً مع تطور الأيام وتتالى القرارات والسياسات .

وبعد .. فهذه دراسة علمية اعتصمت بالحيدة والموضوعية ، و لم تعرف الهوى والغرض ، فليس يميل بها حب أو بغض ، وليس فيها تعصب أو شنآن ، وإنما الحس الوطنى الصادق .

والله من وراء القصد .

د. عبد الله سرور

* رمل الاسكندرية فى ١٩٩٧/٣/١٣

مدخل :

كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بداية طريق طويلة من الأمل الحلو، أحاطته زهور النضال، وراوحته نسائم الانتصارات المتعاقبة. بدأت الثورة بطرد الملك. وبعد عام كان قد تم إلغاء الألقاب، وسن قانون الإصلاح الزراعى، وإلغاء الأحزاب السياسية، والإطاحة بالملكية نهائيًا. وبدأ الناس يتنفسون الصعداء وقد أزيحت عن صدورهم كوابيس الملكية والإقطاع والفساد. وبعد عام آخر تم توقيع اتفاقية الجلاء لطرد المحتل. واستجاب الناس لشعار "ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد"، وتأجج الشعور القومى، وبدأ المد الثورى فى الاندفاع قويًا حتى بلغ ذروته عام ١٩٥٦ إبان العدوان الثلاثى على مصر الذى جسد المواجهة الحادة بين القوى الوطنية والتحررية الناهضة، وقوى الاستعمار العالمى.

وكانت الفترة منذ عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٧ هى فترة التحولات الكبرى فى المجتمع المصرى، كما أنها كانت فترة الآثار العالمية المباشرة للثورة المصرية. عالميًا كانت هى فترة النضال ضد الاستعمار وأعوانه، ومساندة حركات التحرر فى كل مكان، والتصدى لسياسة الأحلاف العسكرية، وكل أشكال الرجعية،

ومحاربة الأنظمة السياسية العميلة، وبناء تجمع سياسى عالمى جديد تمثل فى حركة عدم الانحياز.

وكانت النتائج باهرة، فقد تحررت كثير من الشعوب العربية والإفريقية، وأنشئت منظمة الوحدة الإفريقية، وسقطت سياسة الأحلاف والمحاور، وتهاوت الأنظمة الرجعية، وشبت الثورات فى كل مكان، وبدأ حلم الوحدة العربية يتحقق بقيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨م، واقترب فجر الوحدة الشاملة بعقد أول مؤتمر للقمة العربية عام ١٩٦٤، وراحت قوى الثورة تصيب الاستعمار كل يوم بسهم جديد. وصار عبد الناصر رمزًا عالميًا للنضال ضد الاستعمار وتحرير الشعوب المغلوبة.

أما فى مصر فقد كانت فترة ٥٦ - ٦٧ هى زمن تعاظم الشعور بالشخصية القومية، وترسيخ قيم العروبة والوحدة العربية، والنضال لتحقيق الحرية والعدالة والمساواة، ونشر التعليم المجانى، وكسر احتكار السلاح. وكان مشروع السد العالى تجسيدًا للقدرة على التحدى والإنجاز، ليبدأ بعدها إنشاء أكبر قاعدة صناعية فى الشرق، إلى جانب أكبر قوة عسكرية. ثم كان التحول الاشتراكى لتحقيق العدالة الاجتماعية بقرارات التأميم وصدور القوانين

الاشتراكية، وقام تحالف قوى الشعب بديلاً عن التناحر الحزبى، وصدر الميثاق وثيقة فكرية ودليلاً للعمل الثورى الاشتراكى.

وهكذا بلغ الشعور الوطنى ذروته، وتألقت كل المشاعر والأفكار القومية ولمعت شخصية عبد الناصر الفذة، التى جسدت حلم الجماهير وعطشها القديم إلى بطل أسطورى منقذ ومخلص، يدمر الاستعمار والغزاة، ويقيم الحق والعدل، وينشر الخير والنور، وكان عبد الناصر يشغل كثيرًا من المواقع الاستراتيجية الحاكمة فى المجتمع، فغدا هو العقل المفكر، والحكيم المدبر، والخبير المخطط، والثائر المحقق لكل الأحلام، فتأكدت شخصيته الأسطورية، وغدا كل إنجاز ثورى لصيقًا بشخصه، منسوبًا إليه وحده، ودعمت ذلك أجهزة إعلام قوى مثير ذات سلطان لا يقهر، فخلط الناس بين الحلم والواقع، وبين الرمز والأسطورة، وذابت كل العناصر والسلطات والأجهزة، وصارت جميعًا وجهًا واحدًا لعملة فريدة هى الزعامة الكاريزمية.

ولقد كان للشعراء نصيب كبير فى تجسيد أسطورة عبد الناصر، وقاموا بدور مهم فى التعبير عن ذلك، فكان الفصل الأول "عبد الناصر الأسطورة". أما الفصل الثانى فكان عنوانه "عبد الناصر الثائر"، وفيه بيان لموقف الشعراء من القائد الثائر الذى سعى إلى صنع

إنسان جديد ومجتمع جديد، وخاض حروبًا ومعارك طاحنة لتغيير أبنية المجتمع المصرى وهياكله، قبل أن يشرع فى تحدى الاستعمار العالمى؛ فقد كان عبد الناصر زعيمًا لأول ثورة كبيرة ناجحة فى العصر الحديث نجحت فى إحداث تغيير جذرى فى المجتمع المصرى، ثم امتدت خارجه حتى صارت الثورة المصرية - آخر الأمر - هى النموذج والمثل، وصار عبد الناصر رمزًا عالميًا للثورة والنضال ضد الاستعمار.

وآمن الشعراء بأن الفن الأمثل هو الفن الثورى، الذى يقتضى من الفنان التزامًا بقضايا أمته وعصره، واعتناقها والصدور عنها، تأكيدًا لأهداف الثورة المجيدة فى تحقيق اليوتوبيا الجديدة أى مجتمع الثورة الذى فيه إنسان الثورة.

وكان الفصل الثالث بعنوان "عبد الناصر السياسى" وتناولت فيه موقف الشعراء من قرارات وسياسات عبد الناصر وأحداث عصره، ولما كان فى الفصلين الأول والثانى متسع لمن أحب عبد الناصر وأيّده وتعلّق به، فقد عرض الفصل الثالث لبعض كتابات من اختلفوا مع عبد الناصر أو انشقوا عليه. وأكثر هذا الشعر محفوظ غير مكتوب، لذا تساقط أكثره من ذاكرة الزمن، فلم يبق إلا أقله. ولقد اجتهدت للعثور عليه فكان لى منه نصيب.

ولقد كانت دراستى السابقة بعنوان "أثــر النكسة فى الشعر العربى" سببًا لفتنى إلى كتابة هذا البحث، إذ تعرضت فيها إلى موقف الشعر من عبد الناصر قبل النكسة وبعدها، ولذا كان لزامًـا علـى أن أستعين فى الفصلين الأول والثـانى بمـا كتبتـه فـى دراستى السـابقة، مضافًا إليه نظر جديد، أما الفصـل الثـالث فقـد كـان جهـدًا جديـدًا بذلت فيه ما استطعت.

وبعد ... فهذه دراسة غير مسبوقة، تتناول موقـف الشـعراء مـن الأحـداث السياسـية والاجتماعيـة فـى فـترة بعينهـا مـن فـترات التاريخ، أما عبد النـاصر، فقـد كـان شـخصية كبـيرة تحقـق لهـا مـن الوجود والأثر ما يزال الناس مختلفين حوله إلى اليوم.

الفصل الأول

عبد الناصر الأسطورة

كان عبد الناصر شخصية فذة، وبطلاً شعبيًا بكل المقـاييس، أحبه الناس وعشقوه، فقد بعث لهم صور البطولة العربيـة مـن طيـات التاريخ إلى الحياة من جديد. كان واحدًا من أبنـاء الطبقـة الوسـطى التى ارتبطت به كل الارتباط، وانحاز إلى العمال والفلاحين والفقـراء والمطحونين، فالتهبت مشاعرهم له تأييدًا وعرفانًا، وقد فتح لهم كـل الأبواب الموصدة، وأزاح من طريقهم كل الحواجـز والعوائـق، وأزال أمام أعينهـم مـا كـانوا يظنونـه لا يـزول، فأطـاح بقـوى وبكيانـات سياسية طالما جثمت على صدورهم، ورفـع أمـامهم شـعارات الحـق والعدل والحرية والمساواة، ومنحهم حقوقًا كـانت تلـوح لهـم خيـالاً بعيد المنال، وبشرهم بكل معانى القوة والعظمة، واستنفر فيهـم المثـل العليا والقيم النبيلة.

وخاض عبد الناصر، ومعه الأمة كلها، عديدًا مـن المعـارك، حقق فيها انتصارات متواليـة ألهبـت الشـعور الوطنـى، وحفظـت لـه اندفاعة لا تعرف الفتور.

ودار الشعر العربـى فـى هـذا الفلـك الـدوار حـول صفـات البطل وصورته المثلى، كما وجدها الشعراء فى زعيمهـم جمـال عبـد الناصر، وتغنوا طويلاً بشخصه وقيمـه وأفكـاره وسياسـاته ومعاركـه وانتصاراته وإنجازاته. وأفاضوا فى ذلك إلى حد بعيد حقق لنا اتجاهًـا

متميزًا فى الشعر العربى يمكن أن نسميه الاتجـاه النـاصرى، بحيـث إن مثالاً واحدًا مثل ديوان "وفاء" للشاعرة السورية عفيفة الحصنى يمكن أن ينهض دليلاً قويًا على وجود هذا الاتجاه وصحته وقوته، فالزعيم:

كَسَـرَ القَيْـدَ وأصنـامَ الجُمـود

قَهـرَ الخصـمَ بحَـزْمٍ وصُمُـود

وبنَـى بالحُـبّ صَرْحًـا للخُلود

فى رياضِ العُرْب فى مَهْدِ الجُدود(١)

إنه محطم القيود، وفاتح باب الحرية أمام الشعب، وهو محطم أصنام الجمود بدعوته إلى الانطلاق والبنـاء والقـوة والمجـد والعظمـة، وهو قـادر بحزمـه وصمـوده على قهـر الخصـوم الذيـن يخطئـون، إذ يتوهمون القدرة على تحقيق الغلبة عليه. وهو رافع لواء الحب، علـى الرغم من قوته وعزمـه وصمـوده، وبـذا يبنـى صرحًـا جديـدًا شـامخًا يضارع به أمجاد أجدادنا الذين تشهد الدنيا بفضلهم.

وهكذا اجتمعت فى الزعيم عديد من الصفات المثـال، فغـدا كاسر القيد ومحطم الأصنام والقـاهر، والحـازم، والصـامد، والبـانى، والمحب. لقد تحول الزعيم إلى أسطورة أثراها خيال المحبين والمنبهريـن

بما قاله الزعيم أو حققه، وغذتها خيالات المحبطين والزاحفين على أرض الواقع الأليم.

إنه قادر على أن يهز كيانات كبرى فى الغرب بغضبة واحدة من غضبات :

هَزّت كيان الغَرْب غَضْبَةُ ناصر

أرْدَى قُلوبَهُـم بعَـزْم لا يَلين[٢]

بل إنه حين يصمد فى وجه العدوان تتصدع الدول الباغية فرقًا وإشفاقًا، كما أن صمود الزعيم غدا الضمان الأكيد لثبات التاريخ واستمراره، فلا أقل من أن يتوجه الشعب إليه بالتحية الخالدة

وصَمَدْتَ يا أملَ العُروبة لَمْ تَلِنْ فَتَصدّعتْ دُول الغُزاة المارقين

لولا صُمودك يا جَمال بقُوة لتقهقر التَاريخُ آلافَ السنين

فإليكَ منّا يا جمالُ تحيةٌ ما خلّدَ التّاريخُ ذكْرَ العَالَمِين[٣]

ورسمت قصائد الشعراء صورة الزعيم على هذا النحو الأسطورى المعجز، وأنه الرحمة التى تسع الدنيا جميعًا، وشهاب القوة الذى تعنو له رقاب الأعادى فتصعق أكبادهم :

رَحْمَةٌ فى السَلْم يحنو ظلُّها تَسَعُ الدُّنْيَا بحلم عجب

وشهاب فى الوغى تعنو له مرعدات للدخيل الصخب

إن تروه غاضبًا مستبسلاً | أو تروه فى جــلال النوب
صعقت أكبادكم لاهثــة | وتوارت فى صعيد الهرب(٤)

ووصف الشعراء الزعيم بأنه أشعل نور الهداية المقتبس من نــور النــبى العربى ﷺ فالزعيم منطلق من تراث عظيم تقدسه الجماهير :

ناصـــر أشعل نبراساً لنا | من هدى نور النبى العربى(٥)

وصورت القصائد الزعيم على أنه يصنع كل شئ ماجد أو مثالى ، ومـا يصنعه كاف لتحقيق أمانى الشعب ، ودور الجماهير أن توجه لــه التحيـــة ، وتفتديه بالأرواح والأموال ، وتبايعه بالقلوب والعقول .

إنــا نحيى ناصــرا وشــعارنــا | أن نفتديـــه بروحنـــا وبمالنـــا
أجمالنـــا مـــلأت مآثرك الــدنى | فاعذر إذا لـــم تحصها أقلامنا
يـــا من حملت وأنت تبسم عبئنا | هــل ينقد الثمن الخطير وفاؤنا
يا من دعوت إلى العظائم والعلا | ورفعت بالمجــد الأثيــل بناءنا
قد بايعتــك قلوبنـــا وعقولنـــا | وبنـــور هديك تأتسى أفعالنا(٦)

وهكذا فإن الزعيم يصنع كل شيء، ونحن نرفع شعار الفداء له، فمآثره ملأت الدنيا إلى حد العجز عن إحصائها، وقد حمل عنّا كل الأعباء وهو يبسم راضيًا ومستهزئًا بالأنواء والمصاعب، ودعا إلى العظائم والعلا، ورفع بناء المجد، ولذا بايعته القلوب حبًا والعقول رضى، وحين تقع المصائب وتنزل الخطوب يجأر الشعب بالهتاف مستغيثًا بناصر ليرد عنّا الأهوال ويرفع عنا الخطب، فهو لا يعرف الوهن.

فالشّعْبُ يهتفُ مستغيثًا ناصرًا يا أيُّها البطلُ العظيمُ الثائر

إنّا على عَهْدِ الوفاء لوحدة كُنّا بها بين الأَنَامِ نُفَاخِر

ومضى بنا ربّانُها ببسالة يعلُو جبالَ المَوج وهُو مثابر

لا يعتريه الوهن مهما أحدقت بالركب أهوال وبحر هادر(٧)

وفشلت الوحدة المصرية السورية، وانفصمت عرى الجمهورية العربية المتحدة، وتبدد الأمل الحلو في عودة الوحدة العربية إلى الوجود، إلا أن الشعب ظل وفيًا لتلك الوحدة التي لا يحققها غير ناصر، فهو ربان السفينة الباسل، يملك الصبر ولا يعتريه الوهن على الرغم من كل الأهوال العواتي، وهو الزعيم العبقري

المؤمن المنصور من الله، العـادل، بـانى المجـد، بـل هـو الشـمعة التـى تحترق كى تنير لنا الطريق :

وَمَضَى يَشُقُّ المَوْجَ فُلْكُ جَمالنـا ... يَرْعَاهُ فى اليَمِّ العزيزُ القادِرُ

يَرْعَـى زَعيمًا عَبْقَرِيًّا مُؤْمِنـــا ... بالحقِّ يُعْلِى شَـأْنَهُ ويُنَاصِرُ

بَطَلٌ دعانــا أنْ نُشـيد مجدنا ... بمَحَبَّـةٍ وبقــوة تتضافـــر

بَطَــلٌ تَعَهَّدَ أنْ يُقِــرَّ عَــدَالَـة ... مَهْمَا يُحَاوِلُ طَعْنَهُ المُتَآمِـــر

سَهرَ الفُؤادَ لكى يُنِيرَ سَبيلَنا ... وكذلك الشَّمْعُ المُضِئ السَّاهِـرُ

شَحَذَ العزائم كَىْ يشُقَّ طَرِيقَنا ... ويُعدَّ جيلاً للسَّـــمَاءِ يُبَـادر[٨]

وما دام الزعيم يصنع لنا كل شىء فهـو زعيـم غـير عـادى، وكل ما يتصل به، أيضًا غير عادى. إنه فوق مسـتوى البشـر، عزيـز المثال، نادر النظير، لذا يقسم الناس با لله وبجمال وبالإسلام وبالقرآن أن يظلوا مخلصين له طائعين :

قَسَمًا بربِّكَ يا جمال وبالعلم ... قَسَمًا باسـمك بالعُروبةِ بالقلم

قسـمًا بإسـلامٍ أدينُ بهديه ... قسـمًا بقـرآن تَنَـزَّلَ بالكلم

إنّى لأُخْلِصُ ما حَيِيتُ لناصر ... ولَموْطِنى العَرَبىّ تَبْنِيه الهِمَم[٩]

لذا يجب الحفاظ على الزعيم من كـل مـا يمكـن أن يسـوءه، حتى أهون الأشياء، فقـد يعكـر طنـينٌ بعوضـة رؤيـاه وراحـة نومـه، فليذهب البعوض إلى الجحيم :

وإنــي لأعلى ناصرًا أن يمسّه غُبارٌ إذا ثارَتْ زوابعُ خَصْمِه

ولكنّني أخْشى طنينَ بعُوضَة تُعَكِّرُ رُؤيـاه وراحـــةَ نومه[١٠]

لقد تعلقت أنظار الناس بجمال عبد الناصر، فكـالوا لـه كـل أوصاف العظمة والبطولة والعدل والكمال، ولم يدعوا مـن الصفـات الحسنة شيئًا لم يلصقوه به، وأصبح الحديث عنه وحده صورة للمثـال والكمال، فقـد كـان شـخصه وحـده كافيًـا لنكـون جميعًـا الأكمـل والأعظم. وفي وسط هـذا الـتركيب الأسـطوري والزخـم العـاطفي والإعلامي المثير، لم يعد أحد يتحدث عن الشعب وقدراتـه وإنجازاتـه أو طموحه وآماله أو حتى آلامه، فكل شـيء ملتصـق بـالزعيم وهـو الموكل إليه تصاريف الأمور، فهو الذي يفكر لنا، وينجز لنا ويجاهد، ويخوض المعارك، ويأتينا بالثمرات آخر الأمر، وكأن الأمـر لا يعنينـا، وكانت تلك فاتحة السلبية والخمـول، فمـا دامـت كـل الخيـوط بيـد الزعيم وحده، ومادام الأمر موكولاً إليه بدءًا من التفكـير إلى حصـاد الثمار، فلا دور للشعب في الفعل والتحقيق والجهاد والانتصـار، بـل يقتصر دوره على التأييد والمبايعة والتصفيق والتهليل.

و لم يجد الشعراء حرجًا في التعبير عن هذه الحقيقة، وكأنهـا مفخرة وليست منقصة، فهذا عبد المنعم الأنصارى يعلنها فى وضوح وكأنها مزية للتفاخر :

عَــوَّدْتَنـا ألا نُفَكِّــرَ حينًــا	فى الأمْرِ ... حتى كاد لا يعنينا
وحَمَلْتَ أعْبَاءَ الحياةِ جَميعها	عنا.. وسِرْتَ بها كمـا يُرضينــا
وَسـألْتَ أعْطَيْنـاكَ دُونَ تَرَدُّدٍ	أغْلَىَ الذى قـد كـانَ فـى أيدينا
فَزَرَعْتَهُ فى تُرْبَــة .. مِعْطَاءةٍ	وَنَمَا نَمَاءَ الحُبِّ فــى وادينا[١١]

فالشاعر يمدحُ الزعيم بأنه قد عودنا ألا نفكر، ويشـفق عليـه لأنه حمل أعباء الحياة جميعها عنا، وأننا أسلمنا إليه قياد كل شيء فـى ثقة وراحة نفــس. وهـو لا يعـرض الأمـر غاضبًا أو مسـتنكرًا، بـل يعرضه باشا متباهيًا. وهكذا غدا الزعيم الأسطورة يصنع كل شيء، إنه يحلم لنا وينجز لنا ... ونحــن فقـط نسـبح بحمـده ونمجـد لـه ... يقول الشاعر :

أمَّـةُ العُرب تُبَاهي بجمال

نَاصِـرٌ حَقَّقَ أحْلامَ الخَيال

باعثُ المَجْدِ ومِطلاقُ النِّضَال

رَائِدُ العَدْلِ ونبراسُ الكمَال[١٢]

نحن نباهى بجمال عبد النـاصر لأنـه حقـق الأحـلام البعيـدة، وبعث المجد، وقاد النضال، وراد العدل، وقدم صورة الكمال ... إنـه يصنع كل شيء ونحن فقط نباهى، وليس عليـه إلا أن يـأمر فنلبيـه جميعًا فى طاعة لا تعرف المُروق :

إنَّا جُنودك يا جمال بشيبنا وشبابنا يا قائدَ العُرب الأمين

إنَّا جنودُكَ يا جمـالُ بِولدِنَا ونِسـائنا فأمر تَجِدْنَا طائعين

لَبَّيْكَ هـذا عهدُنا ويمينُنـا لا نحنثُ الأيمانَ لسنا قانطين[١٣]

لقد صار جمال معشوقًا يتغزل فيه الشعراء، ويلحون على أن يلصقوا به كل وصف جميل أو عظيم وربطوا بين شـخصه وسـلطاته وإنجازاته دون فصل أو تمييز، فجمال هو الثورة، وهـو السـد العـالى، وهو الدعوة إلى السلام. إنه البطل الأسطورى يقفز من رحم الخيـال إلى أرض الواقع، فالتصقت به كل صفات المثل الأعلى كما التصقت به كل إنجازات المرحلة :

وجمال هل علمتم من جمال زعيمًـا للنضـال العربـى

هـل عرفتم معدنًـا متقـدا صاغـه ا لله بصـافى الذهـب

هل رأيتم هيبة العملاق إذ يترامى خصمه عن كثب

هل شهدتم قائدًا ملتزمًا خلقه القرآن نهج الأدب

هل علمتم ثائرًا فى أمة يحطم الأصنام حطم العطب

هل عرفتم بانيا، ميثاقه يضع العدل بديل الحب

سدّه الجبار سفر جامع حول التاريخ رغم النُّصُب

فى دماكم أثر من عزمه قد عرفتم جِرّةٌ فى الغلب

وجرعتم غُصصًا من حزمه فى دوىّ من عظيم الخطب

رحمة فى السلم يحنو ظلها تَسَعُ الدنيا بحلم عجب(١٤)

لقد صوره الشعراء على أنه يملك قدرة عاتية على فعل المستحيل، حتى كاد أن يكون قادرًا على البعث والنشور، وأن يأتى لمصر بخلق جديد هم جيل الثورة. وقد بعث الرعب فى قلب القدر، فكأن جمالاً إله قدير يقول للشىء كن فيكون ... يقول حلمى مرزوق :

كأنّ جَمَالا إلــهٌ قَدِيــر

إذا قــال للشــىء كُــنْ فيكــون

. . . .

ويــأتى لمصــر بخَلْــق جَديــد

جمـــالُ زعيـــم أجَـــدَّ الحيـــاة

وحَطَّـم فـى الشَّـرْق وَهْـمَ العَبيـد

دعـــــــاةَ الضـــــــلال

دعـــــــاةَ الخَـــــــوَر

دعـاة الهزيمـــة بـــين الرجـــال

وَحَـرَّكَ فـى الرُّعْـب كَـفُّ القـدر

ليمْحُـــوَ مـــا رَقَّـــشَ الأَدْعِيَـــاء

ويُثْبِــتَ مـــا يَصْنَـــعُ الكبريـــاء

ويكتُـــبَ تاريخَنَـــا بـــالدم

ويعلُـــو علـــى الواقـــع المُؤْلِـــم

ويَمْـنَـــعَ أنْ يســـتـرد الظـــلام(١٥)

وهكذا غدا الاتجاه الناصرى الأسطورى اتجاهًا شعريًا أصيـلاً متميزًا، ارتبط بشخص الزعيم وأفعالـه ودار حولـه، ووصـف شـكله وأخلاقه وشمائله، ومجّده إلى حد يشبه التقديس، وربط بشخصه كـل قضايا المرحلة وموضوعاتها وإنجازاتها، و لم يعد ثمة فارق بين شخص الزعيم ومنصبه الرسمى وسياسة الدولة والمواقـف والقضايـا المختلفـة، بل كلها جمال، حتى إن شـاعرًا تقليديًـا مثـل الأسـتاذ علـى الجنـدى

يقف عليه جُل شعره فى هذه الفترة، فيصف الرئيس بأنه يحمل همَّ العرب جميعًا حتى شابت رأسه، والحاكم العادل، والفتى الصعيدى الأبى، وخليفة صلاح الدين، والصادق القوى، تنطق أعماله بعظمته، وباتت له جولدا مائير أمة ذليلة أما بن جوريون فقد صار وطاء لنعليه، وقد جاء به الله لتجديد بناء الأمة وبعثها من جديد، يقول الشاعر مادحًا الزعيم :

حاملاً همَّ بنى العُرب ومَنْ دَانٍ ونـاء

جاهدٌ فى حُكمه العادل والحُكم شقاء

تبعات شَيَّبَتْ فَوْدَيْهِ شأنَ الحُكماء

ولِبَعْضِ الشَّيْبِ نُور ووقَارٌ وبهاء

الفَتَى (المُرِّى) بأسًا و(الصَّعِيدىّ) إباء

و(الصَّلاحى) اعتزامًا حينَ يَحْمَرُّ الفداء

والذى يَصْدَعُ بالصِّدق ويأبَى الافتراء

والذى ينطق بالفَصْل إذا اشْتَدَّ المِراء

والذى يطلعُ كالصُّبْحِ إذا استشرى العماء

والذى بالرأى عنه فى الدياجى يستضاء

والذى أعماله تُغْنِيه عن كُل ادّعَاء

والـذى شَـادَ لنـا السَّـدّ لنحظَـى بالرَّخـاء

والـذى يَمْضِـى أمامـا ليـس يَـدرى مـا وراء

والـذى يهجـم كـالضَّيْغَم مـن حيـثُ يشـاء

والـذى كـان لصهيـون مـن الحمـق دواء

والـذى باتَتْ لـه (مايير) مـن بعـض الإمَـاء

والـذى رأسُ (ابـن جوريـون) لنَعْلَيْـهِ وِطـاء

والـذى جـاءَ بـه ا للهُ لتجديـدِ البنـاء[١٦]

لقد بلغ الأمـر حـدًا غريبًا نتيجـة كـل تلـك الصفـات غـير العادية التى سعى الشاعر كى يلصقها بالزعيم، بل إن فى كثـير منهـا مجافاة لحقائق الواقع ومنطق العقل القويم، بحيـث صـار مـن حقنـا أن نتسائل -الآن- عن مدى مسئولية الكتاب والشـعراء عـن النكسـة ؟ أليس مـن الخطـأ الجسيم أن نتحـدث فقـط عـن مسـئولية القـادة السياسيين والعسكريين عن نكبة البلاد، ولا نتحدث عـن مسـئولياتنا -فئات وجماعات- عما بلغه القادة من درك، ومـا انجرفـوا إليـه مـن هُوة ؟

لقـد أفـرط الشعراء فى رسـم ملامح وتفاصيل الشـخصية الأسطورية للزعيم إلى حد بعيد يكاد يتصـل بالخرافـات ويبتعـد عـن منطـق العقـل. لكـن هـذا التزيد والإفـراط لا ينفـى حقـائق الواقـع

وجملتها أن عبد الناصر قد أحبته الجماهير وتعلقت به على نحو أسطورى.

وأغلب الظن إن ملامح الشخصية الأسطورية كما رسمها الشعراء لعبد الناصر كانت ملامح مستمدة من التراث الشعبى، فالبطل فى سيرنا الشعبية لابد أن تحيطه الخوارق، وتحاصره الأهوال، ويخترق الصعاب ويقهر المستحيلات، ويعيد للجماعة حقها الضائع والسليب، وينازل أعداء أشداء تشتهر قوتهم، ويلمع بأسهم. كما أنه بطل راجح العقل، عادل، صانع للخير، يلتف حوله الناس فى إكبار وإجلال، ويحبونه إلى حد التضحية من أجله بكل غال، والدفاع عنه بكل سبيل. وهذه كلها صفات حرص الشعراء على إسباغها على الزعيم فلا عجب أن نقول إنهم وصفوا عبد الناصر الأسطورة.

وحين وقعت النكسة، وخرج عبد الناصر على الناس يعلن النبأ الحزين، وأنه يتحمل المسئولية عن كل ما جرى، ويعلن تنحيه عن تحمل مسئولية الحكم، كان الموقف غريبًا، وكان رد الفعل أغرب ألف مرة، فلم تنفعل الجماهير إلا لنبأ التنحى، إضافة إلى أن الارتباط العاطفى العظيم بين عبد الناصر والجماهير لم يكن يخضع للأعذار والمبررات والأسانيد العقلية، فهذا الصوت الخاص الذى

ألفوه صباح مساء ولسنوات طويلة لم يتصوروا كيف يمكن أن يغيب عنهم. وإذا اقتربنا قليلاً من دائرة مفردات الواقع نجد أن المسافة كانت كبيرة جدًا بين عبد الناصر ومَن حوله فى وحدان الناس، فكيف ينهض من أعوانه بديل له ؟ إضافة إلى أن مرارة الأسى فى صوت عبد الناصر المتهدج، وهو يعلن نبأ النكسة، جعلت الناس يشعرون وكأنهم على شاطئ مهجور قد فارقته سفينة لا تعود، أو كأن الريح تعبث بسفينتهم وسط بحر الأهوال، فلا منقذ ولا ربّان غير جمال.

وفى هذه اللحظات النادرة التكرار فى التاريخ الإنسانى، خرج الناس جميعًا من بيوتهم وأعمالهم فى مشهد أسطورى، واندفاع عاطفى أعمى يتخبط على غير هدى من المنطق القويم أو التفكير الهادئ المتزن، وانطلقوا يومى ٩، ١٠ يونيو يرفضون التنحى، ويطالبون الزعيم بالبقاء، ويتمسكون بقيادته، وهُرع سكان المدن والقرى إلى القاهرة فى مشهد عاطفى مهيب، يهتفون للزعيم، وينامون فى الشوارع وينتحبون ويهذون، واستجاب الزعيم وبشر الجماهير بطريق المستقبل معلنًا: «إن ما أخذ بالقوة لا يُسترد بغير القوة»

وهكذا فإن التلاحق الدراماتيكى للأحداث، كان اندفاعًا أسطوريًا غير مألوف أو متوقع، كما كان عاطفيًا نادرًا وغير عقلى،

لم يتح لأحد فرصة للتقويم أو المراجعة، ومن ثم كانت مواقف الجماهير وردود أفعالها لما وقع فى ساحات القتال، متأخرة بعض الشيء.

وخلاصة القول إن الجماهير فى غمرة اندفاعها العاطفى المهيب، لم يكن الشعراء فى غيبة عنها، بل كانوا فى بُؤرة الانفعال اللامع، ومع أول خروج الجماهير يوم ٩ يونيو غنّى صالح جودت يطالب الزعيم بالبقاء، والرجوع عن قرار التنحى، فهو الأمل الباقى لغد الشعب، بل إنه بعد إعلان النكسة بساعات قليلة يقول إننا جففنا دمع الهزيمة وتبسّمنا، و لم يبق أمامنا إلا أن ينهض الزعيم ليدفعنا بعد النكسة ويرفع هامتنا :

قُمْ واسْمَعْها مِنْ أعماقى   فأنَا الشَّعْبْ

ابْقَ فأنتَ السَّدُّ الواقى   لُنَى الشَّعْب

ابْقَ فأنتَ الأملُ الباقى   لِغَدِ الشعب

أنتَ الخيرُ وأنتَ النُّور

أنت الصَّبْرُ على المَقْدُور

أنْتَ النَّاصِرُ والمنصُور

ابق فأنتَ حَبيبُ الشَّعْب   دُمْ للشعب

* * *

قـم إنّـا جفّفْنَـا الدّمعـا وتبسـمنا
قُـمْ إنّـا أرْهَفْنَـا السَّـمْعَا وتعلّمنـا
قُـم إنـا وَحَّدْنـا الجَمْعَـا وتقَدَّمْنَـا
قُـمْ للشَّـعْبِ وبَـدِّدْ يأسَـه
واذكُـر غَـدَهُ واطْـرَحْ أمْسَـه
قُـمْ وادْفَعْنَـا بعـدَ النَّكْسَـة
وارفَـعْ هامَـةَ هـذا الشّـعب دُمْ للشَّـعب(١٧)

وتتالت قصائد الشعراء على الوتيرة التى كانت سائدة قبل النكسة، تمدح الزعيم وتمجده وتبارك أعماله وسياساته، أو تصف حركاته وسكناته، أو تتغزل فيه وتصف ملامحه وعينيه وقامته ومشيته.

ووصفه الشعراء بأنه صاحبُ القلب الكبير الذى يخفق لكل ما يجرى على أرض مصر فى أحجار السّد وفى مُدن الدلتا، وفى ثياب الريفى المجهد، وكتب الشاعر محمد إبراهيم أبو سنة "أغنية إلى عبد الناصر" يقول فيها :

يـا حُـبَّ بـلادى الأول

تُبْحـــرُ فـــى عينيـــك الآمـــال
تَبْـــــــــدأُ رحلَتهـــــــــا
بـين خمـائل هـــذا الحُـــبّ الأجيـــال
فـــــى مصـــــر العليـــــا
يخفـــــــق قلبـــــــك
فـــى الأغنيـــة الصّخْرِيَـــة
فـــوقَ جـــواد مُنْدَفـــع أبيـــض
فـــى أحجـــارِ السّـــد
يخفـــــــق قلبـــــــك
فـــى مُـــدن الدلتـــا
فـــى الأبنيـــة الطِّينيـــة
فـــى المدخنـــة المُرتفعـــة
تشـــــتعل حمَاسًـــــا
يخفـــــقُ قلبـــــك
تحـــت ثيـــاب الريفـــى المُجْهَـــد
يعـــرفُ سِـــرّ العـــالم
فـــى بِضْعَـــة أغْنَـــام

ويظل الشاعر يعدد أوجه الحياة ومجالاتها في مصر، ولكل يخفق قلب جمال عبد الناصر حبًا وانفعالاً وثورة، ودليلاً على أن الزعيم قائم وموجود فى كل همسة وكل خطوة وكل عمل أو حياة، حتى يقول أخيرًا :

فـــى كـــل فـــؤاد يبنـــى بيتًـــا للحـــب

يخفـــــــــق قلبـــــــــك

لكنّـــى يـــا حُـــبٌّ بـــلادى الأول

أسمـــــعُ فـــــى قلبـــــك

خَفَقَ فُؤاد حبيبتك السَّاهِرة على ضَفَّة نهــر

فـــى قلبـــك تخفـــقُ مصـــر[١٨]

هكذا كان الزعيم موجودًا فى كل ثنايا الحياة، فى الدمعة، فى الابتسامة، فى دخان المصانع، فى الأبنية الطينية، فى السد العالى، فى المدن الساحلية، إنه فينا ولذا فهو معنا فى كل آن. هذه جميعًا ليست صفات بطل بشرى مهما علا شأنه، وجلّ فعله، إنها صفات البطل الأسطورى الذى أثْرت مكانه وقدراته خيالات المُحبين.

وتوفى جمال عبد الناصر فى الثامن والعشرين من سبتمبر

عام ١٩٧٠م، فى واحدة من أنبل معاركه لتوحيد الصف العربى، ووقف مذابح أيلول الأسود ضد الفلسطينيين فى الأردن، ومن أجل حشد القُوى جميعًا ضد العدو المعتدى، بدلاً من توجيه السلاح العربى إلى صدور الأشقاء. وكان موته مفاجأة مذهلة للجماهير التى أحبته وتعلقت به وعَلّقت عليه الآمال، فقد كان يمارس عمله العام إلى آخر لحظة من حياته. وكان موته مفاجأة لأنه وقع فى زمن استشعرت فيه الجماهير قرب موقعة الثأر من العدو المحتل، وردّ الكرامة السليبة. وكان موته بعد ثلاث سنوات من الكّدّ والجِدّ قضاها الزعيم فى رأبِ الصَّدْع وتوحيد الكلمة، وإعادة بناء الجبهة الداخلية، وحشد كل الطاقات للمعركة التى جَهَّز لها جيشًا قويًا قادرًا. وإضافة إلى أن عبد الناصر كان بطلاً أسطوريًا فى أنظار الجماهير ووجداناتها لطول حكمه، وكثرة معاركه، وانتصاراته وتعدد إنجازاته، إلا أن الجماهير ظَلّت تتعلق به على نحو خاص جدًا فى السنوات الأخيرة لحكمه لكونه رمز الصمود وأمل النصر، ولكل تلك الأسباب كانت وفاة عبد الناصر صدمة شعورية هائلة للوجدان العربى المصدوع، والمشاعر العربية المنكسرة أصلاً بسبب الهزيمة.

وفوق ذلك كان موته تهديدًا مباشرًا بانحسار المَدّ الثورى، ويثير القلق حول موقف الصمود وإزالة آثار العدوان، وأيضًا فإن

موته كان يضع المكاسب الثورية فى موضع التنازع، إضافة إلى أن رحيله كان يقذف بأمل الوحدة فى مهب الريح.

كان ألم الفجيعة عامًا، ومرارة الإحساس بالفقد والخسارة عظيمة، فلا عجب أن تفَطَّرت النفوس فى بكاء مُنْهَمِر، وتراوح الناس بين الدمع والعَويل ونَدْبِ الحظّ العاثِر، والإحساس بالضياع والخوف من الآتى القريب، وأيضًا الإحساس باليتم والضعف.

وكتب الشاعر السودانى أبو آمنة حامد ديوانًا كاملاً أسماه "ناصريون .. نعم" يبكى فيه الزعيم ويقول فى مقدمته : «هذا ليس رثاء لعبد الناصر، وليست فيه كلمة رثاء واحدة، فالذى يرثى يموت وعبد الناصر يحيا». ولم يكتف الشاعر فى ديوانه بتعداد مناقب الزعيم ومآثره وصفاته، والحديث عنه وإليه، ولكنه ذهب إلى الحديث الباكى إلى بيت عبد الناصر، مثل قصيدته "آه ... يا منشية البكرى" وهى المنطقة التى كان يقع فيها بيت الزعيم، يقول فى مطلعها :

آهِ .. يا مَنْشِيَّةَ البكرى .. أنَا	**مثل شعبى .. ضائع الخطو.. يتيم**
كُسِر الكأسُ على رَوْعَتِه	**وبكَتْ خَمْرى ادكارات النَّديم**
آه من جُرْحى ومِنْ لوعَتِه	**آه من ليلى ومن حُزنى المقيم**

أنـا مهمـا قلـتُ عـن أمجـاده ... يتلظّـى الفَقْـدُ عنـدى .. ويقيـم
أيـن مِنّـا حُبّـه .. اللامُنتهـي ... أين منّا وجهه الصّافى الوَسِـيم[١٩]

وعلى الرغم من أن الموقف يطفح بالحزن العظيم، والشاعـر يعبر عن حزعـه وأسـاه ولوعتـه بـالآه الصارخـة، إلا أنـه لم ينـس أن يتحدث عن الوجه الوسيم.

وتتمزّق الشاعرة جليلة رضا، وتكفر بالكلمات، وتستصرخ الأرض أن تكـف عـن الـدوران، وأن ينهـد جبـلُ المُقَطّـم ويتحطـم، ويجف النيل بسبب الفجيعة، فلا حياة بعد جمال، فتقول :

صَلّيْتُ للكلمـات عُمـرًا كـاملاً ... وجَثَتْ على محرابهـا الأفكـار
وكفرتْ بالكلمات حينَ ترنّحَـتْ ... وأصابَهـا يـوم الـوداع دَوار
يا يومنا المشْئُومَ يا يومَ الأسـى ... أوَمَـا عَـرَاكَ مـن الفَجِيعـةِ عـار
حزن، وكم حـزن حملت وإنما ... هـو ذلـك العمـلاقُ والجبّـار
والحـزن قد يأسوه خِـلٌ صـادق ... إلاه .. فهـو الخِـلُ وهـو الجـار
ووجدتُنى أهْـذِى، وربّـى عـاذِرٌ ... فهـو العَلِيمُ بنـا .. هـو الغفّـار
لِمَ لَمْ تَكُفّ الأرضُ عَنْ دَوَرانها ... لِمَ يعقُبُ الليـلَ البَهِيـمَ نهـار
لِـمَ لَـمْ يَمِـدْ جَبَلُ المُقَطّم هاويًـا ... ويَجِـفّ نِيـلُ بلادنـا الهـدّار

وسالت مصرَ ومصرنا مسكينة قد هز كل كيانها الإعصار
تبكي ويبكي حولها أبناؤها والدرب موج والديار قفار
ساروا بغير هدى وقد ولى الهدى وتوقف القلب الكبير فخاروا[٢٠]

والشاعرة حين تميل إلى كل هذه المبالغات ، فإنما تعبر عن تلك النظرة الأسطورية إلى الزعيم فهو ليس قائداً فارق الحياة ، بل إن موته فجيعة جعلتها تكفر بالكلمات ، وتتحدث عن اليوم المشئوم والحزن الذى لا يأسوه خل ، وتعجب لأن الأرض لم تكف عن دورانها ، ولم يبتعد الليل البهيم عن النهار ولم ينهد جبل المقطم متحطمًا ، ولم يجف النيل العظيم أسى . ولو أن شيئاً من هذا الذى ترجوه الشاعرة حدث لما كان الفقيد بشرًا عاديًا ، لكنها النظرة الأسطورية التى تحدثنا عنها . ومن الحق أيضاً ، أن نقول إن وفاة عبد الناصر كانت ألمًا قاسيًا لجسد لم يبق فيه مكان للألم من طول ما عاجلته الآلام ، وتابعته الويلات .

أما الشاعر كامل أمين فيصف الزعيم بالبطولة والشجاعة ، والوفاء ، والجبل الأشم ، والهرم ، وتلك صفات يوصف بها الناس عادةً ، لكنه يضيف إليها الصفات الأسطورية أيضاً ، فيقول انه صاحب الفكر الذى يطاول الجوزاء ، والعمر الذى تساوى كل ساعة منه جيلاً ، والعظيم الذى ينحنى أمامه خوفو استحياء ، وهو الذى

كـان يطـوى الأرض فتئـن تحتـه، ويشـير إلى الصحـراء فـتزهر فيهـا الخضرة ويسعى إليها النيل :

كـانت حيـاتُكَ يـا جمــالُ فـداء — وبطولـــة وشـــجاعة ووفـــاء

أَرْسَيْتَ كالجبلِ الأَشَمِّ على الثَّرى — فكـرًا يكــادُ يطـاول الجــوزاء

خمسـون عامًـا كـلُّ مطلِعَ سـاعة — منهـا بجيـل يُثْمِــرُ الأحيــاء

وكأنــه هــرم علــى جنباتـــه — عزماتُ خوفـو تنحنـى استحياء

عجبًـا لمن مـلأ الحيـاة بصيتـه — كيف انزوى تحتَ الثَّرى مُومياء

وهو الذى مـا كـان يطوى الأرض — إلا وهــى تـرزح تحتــه إعيــاء

وأشـار للصَّحْـراء فـاخْضَرَّتْ لـــه — وسعى إليهـا النيـل يجـرى الماء

بكت العُيونُ له فلما غِيـضَ السَّد — مـع البكـا، بكـت القلـوبُ دمـاء

يـا مـن تصـافِحُكَ العُيـون محبـة — وتطـوف حَوْلَيْـكَ العُيــون ولاء

يا من بِكَ احتفـت العُيـونُ كأنَّهـا — بكَ أبْصَرَتْ بعـدَ العَمـى الأَضـوَاء

فرحـت بمـا بـكَ أَبْصَرَتْـهُ كأنَّهـا — لـولاكَ عاشَـتْ عُمْرهـا عميـاء[٢١]

وعبّر صالح جودت عن الذُّهُول الذى ذهبَ بعقـل صاحبـه، وتمنى لو كذّب ما سمع، أو عادَ الزَّمن إلى الوراء، فالنبأ الفاجع يعظُـم على التصديق :

مـا خَفَّفَتْ حدثـه صرخـة	تقتلــع الأنفُــسَ أىَّ اقتــلاع
مِـنْ نبـأ، مِـنْ فَـرْطِ إعوالـه	حَسـبْتُه أكـبر مـن أن يُــذاع
وهل يعُـودُ القـدرُ القهْقـرى	لو أنّنى كَذّبتُ فيـه السّماع[٢٢]

ويبين الشاعر محمد إبراهيـم أبـو سنة فـى قصيدتـه "خـالدة مصر" كيف انفجر النبأ الفاجع حتى أذهل الزوج عن زوجهـا، وقـد شُبَّ البيت نـارًا بمـوت جمـال، واكتسـت الدنيـا لـون السـواد حزنـًا وحدادًا ويأسًا وأسى :

فى منتصف الليل

تحت ملاءات الأطفال

ينفجرُ النبأ الفاجع

"مات عظيم هذى الليلة"

....

تخرج مصر

من دفء طمأنينتها

تسبح فى أمواج ظلام المستقبل

ها هى نقطة حبر أسود

تسقط فوق النيل

تتسعُ وتعلو حتى الشاطئ

تتجاوزه تلتهم المدن المذهولة

تنقَضُّ على أكواخ القرية

تصحو الزوجة

تخرج من أحضان الزوج

توقظه "شب حريق يا زوجى فى البيت"

....

أخرج أعدو

يتبعنى يسبقنى

سيف النبأ الفاجع

مات جمال

مات الأب[٢٣]

وبكاه نزار قبانى بكــل مـا فـى الدمـوع مـن مـرارة، ورثـاه بقصيدة ذاعت فى أركان عالمنا العربى، ورسمه آخر مثل أعلى تتعلـق به الأبصار، وآخر الأنبياء فى الزمـن الضـال، بـل جعلـه قتيـلاً تحمـل العروبة كلها وزر دمه بعد أن خرجت عن تعاليمه، ومنها قوله :

قتلناك ... يا جبل الكبرياء

وآخر قنديل زيت

يضىء لنا فى ليالى الشتاء

وآخر سيف من القادسية

قتلناك نحن بكلتا يدينا

وقلنا المنية

لماذا قبلت المجئ إلينا

فمثلك كان كثيرًا علينا

ورفض كثير من الشعراء تصديق نبأ موت عبد الناصر وكأنه ليس بشرًا يصدق فيه كل ما يجرى على مخلوقات الله، لكنها النظـرة الأسطورية جعلتهم لا يقبلون فيه الموت، واستخدم كثير من الشـعراء

تعبيرات مثل : "لا ... لم يمت"، وكأنهم يقولون إن عبد الناصر لا يخضع للناموس الطبيعى، أو كأن نظرتهم الأسطورية جعلتهم يغربون به بعيدًا عن حقيقة الموت الأزلية، فقال أحمد عبد المعطى حجازى يرثيه بقصيدته : «الرحلة ابتدأت» :

لا ... لم يمت وخرجنا نُجوبُ ليلَ المدينه

ندعوك، فاخرج إلينا ورُدَّ ما يزعمونه[٢٤]

أما صلاح عبد الصبور فكتب بكائية إلى عبد الناصر عنوانها "الحلم والأغنية" يقول فيها .

لا ... لم يمت

وتظل أشتاتُ الحديث، ممزقات فى الضمائر

غافيات فى السكينة

حتى تصير لها من الأحزان أجنحة

تطير بها كلامًا مرهقًا، يمضي ليلتقفه الهواء

يرده لترن فى جدران دور مدينة الموت الحزينة

أصواتُ أهليها الذين نبت بهم سُرر البكاء

يتجمعون على أرائك السّمر الفقير

معذبين ومطرقين

الدمع سقياهم، وخبزهم التأوه والأنين

يلقون –بين الدمعتين– زفير أسئلة،

تُخَشْخِشُ مثل أوراق الخريف الذابلات

هل مات من وهب الحياة حياته ؟

حقاً ؟ أمات ؟

ماذا سنفعل دونه

ماذا سنفعل بعده

هل مات ؟[٢٥]

وتمضى الشاعرة طلعت الرفاعى على الدرب نفسه، وترى صوت النعى افتراء لا يجوز قبوله فهذا محال :

من قال إن جمال مات ؟

من افترى ؟

من قال زال ؟

هو صامد، في حومة الميدان

في قلب الرجال

هو شعلة الفولاذ في دمنا

على درب النضال

من قال إن جمال مات ؟

من افترى ؟

هذا محال

ما مات عملاق العروبة

قم وأذّن يا بلال(٢٦)

وكتب الشاعر عبد المنعم الرفاعى قصيدته "رثاء البطل" يكذب فيها الخبر، وكيف يموت من بعث الروح فى الموتى فصاروا ثائرين مناضلين :

كلاّ .. فما صَدَقَ الناعى ولا الخبر

وتلك أعلامك الغراء تنتظر

يا باعثَ الروحِ في الموتى: الطِّرادُ دَنا

والخيلُ تصهل، والميدان يستعر

والقدسُ من لوعة اللقيا لناصرها

تهفو بأرجائها الآيات والسُّور[٢٧]

أما الشاعر عبد العليم القباني فـرأى أن مـوت الزعيـم يقـين أحب منه الضلال، وعبر عـن ذهولـه بالمبالغـة الشـديدة التـى تصـور غرابة الخبر واستبعاده، فقال :

أيها السائلون ... كيف المُحَال ؟

هكذا .. هكذا .. تَمِيدُ الجبالُ

هكذا .. هكذا .. الكواكبُ تهوى

حين تهوى – وتسحق الآمال

رُبَّ صـدق دنا، فأوفى، فأَضْفَى

فتعـالى، فلـم يُطِقْهُ الخيال

ويقيـن تـزاور القلـب عنـه

وهو في كـل خفقـة زلـزال[٢٨]

ولجأ الشاعر على الباز إلى المبالغة الصارخة أيضًا، قائلاً إن عبد الناصر حى يقود على الرغم من موته، أما الشاعر فقد مات إذ بلغه نبأ موت الزعيم :

يقولون : هلاَّ رثَيْتَ جَمالاً أجبتُ .. وهل أستطيعُ المحالا

وكيف ؟ وَقَدْ مِتُّ .. لما عَلِمْتُ ومن ماتَ لا يستطيعُ المقالا

وكيف ؟ وقد ظَلَّ رَغْمَ المماتِ يقودُ .. ويحيا .. ويحدو النضالا

أيَرْثِى الذى ماتَ .. مَنْ ظَلَّ حَيّا ويحيا .. ويحيا ..سنين طوالا(٢٩)

وكتب الشاعر محمد عبد الرحيم إدريس قصيدته "لا ... لم يمت" ليؤكد فيها موقف الرفض للنبأ الفاجع، والتعبير عن الشعور بالمباغتة والانذهال، ويستكمل بعض ملامح تلك النظرة الأسطورية فى تأكيده أن الزعيم لم يمت، وكيف يموت وقد كانت رسالته وحى السماء وما أوحت به الكتب :

بل لم يمت، فهو فى وجدان أمته

حىٌّ بكل شعار نابضٍ يشبُ

بلْ لَمْ يَمُتْ، فهو فى أضواءِ سيرته

مبادئ بالعلا والحقِّ تلتهب

وهــل يَمُوتُ فتـــى كانت مبــادؤه

بَعْثًا تُخَــلِّدُه الأزمـــانُ والحِقَــبُ

وهل يمــوتُ فتــى كانت رســالته

وَحْىَ السَّماءِ وما أَوْصَتْ به الكُتب[٣٠]

وسجّل الشاعر عبد المنعم الأنصارى هذا الموقف الأسطورى أيضًا فى شعره، فحين تلقى النبأ الفاجع عصف بــه الذهــول، واستمهل الشك لعل النبأ كاذب، وإذ تيقن منه انتظر معجزة عـودة الحياة إلى الزعيم، ولم لا ؟ أليس الزعيـم معجـزة السـماء ؟ ألم يكـن الشعب ميتًا فأحياه الزعيم ؟ لكنها مشيئة الله نفذت :

أَصْغَيْتُ للنبأ الرهيب، وغُصْتُ فى

مَوْجِ الذُّهول على الأريكة حيناً

ثــم انتبهتُ إلى الجمــوع .. وكُلُنا

يستَمْهِلُ الشَّــك المعــذب فينـا

فعســى تعـودُ لك الحياةُ .. وربُّنَا

بالُمعجزاتِ عليـكَ ليـس ضَنينا

أوَلَسْتَ مُعْجزةَ السـماء ؟ وأننَّـا

متنَـا، وكنتَ أتيتَ كي تحيينا

لـكنـمـا لله أى مشـيئـة ؟

نفذت .. وصار الشَّكُّ فيك يقينا[٣١]

وكتب نزار قبانى عددًا من القصائد عقب وفاة عبد الناصر، انطلق فيها جميعها من ذلك الموقف الأسطورى. والنظرة التى تخرجه بعيدًا عن الناموس العام الذى يسرى علينا، وكما وصفه بأنه آخر الأنبياء عاد وكتب "السيد نام" :

السيد نام

كنوم السيف العائد من إحدى الغزوات

السيد نام

فكيف أصدق أن الهرم الرابع مات ؟

القائد لم يذهب أبدًا

بل دخل الغرفة كي يرتاح

وسيصحُو حين تُطلُّ الشّمس

كما يصحُو عطرُ التفاح

الخبزُ سيأكله معنا

وسيشربُ قهوته معنا

ونقولُ له ويقول لنا

القائدُ يشعرُ بالإرهاق

فَخَلُّوه يَغفُو ساعات

ويتصل بتلك النظرة الأسطورية أيضًا وصف مشهد جنازة عبد الناصر فى قصائد الشعراء، فلقد تصادف مع وفاته احتفال المسلمين بذكرى الإسراء والمعراج، وعند الجنازة نقلت طائرة هليكوبتر جثمان الفقيد من القصر الجمهورى بالقبة إلى مقر مجلس قيادة الثورة، ولقد عدّ الشعراء وفاة عبد الناصر فى هذا التوقيت تكريمًا له من السماء، كما صور خيالهم الطائرة وهى تحمله وكأنها البراق يصعد إلى السماء، وتكرر هذا الوصف فى عديد من القصائد، لعل أبرزها قصيدة الشاعر صالح جودت التى تخيل فيها البراق، والملائكة، والجنة، وجبريلاً، والمسيح، وقابيل وكربلاء :

أَمَعَ الإسراءِ نادته السَّمَاءُ كذتُ أنْ أحْسَبَهُ فى الأنبياء

علت الطائرة الثكلى به فتخيَّلتُ بُراقًا في الفضاء

كِدْتُ أنْ أسْمَعَ في موكبه نغَمَ الأملاك يعلو بالدعاء

كدتُ أنْ ألمحَ في مِعْراجه طيفَ جبريل يحيِّي الشهداء

كدتُ أنْ أشهَدَ في آفاقه مشهدَ الجنة وَعْدَ الشهداء

قلتُ والجثمانُ يعلُو في السَّما إنَّه حيًّا وميتًا في علاء

وتمثلتُ مَسِيحًا صاعدًا أفَما كانَ مَسيحَ الزُّعماء

يحملُ الآلامَ عنهم، ويَرى أنَّهُ الفادى إذا عَزَّ الفداء

صَلَبَتْهُ لوعةٌ دامية في خيام اللاجئينَ التُّعَسَاء

طعنتهُ يدُ قابيل التي طَوَت العَهْدَ وأوْدَتْ بالإخاء

ذَبَحَتْهُ نَكْبَةُ العُرب التي جَدَّدَتْ في النَّاس ذكرى كربلاء[٣٢]

فرسم الشاعر جوًا أُسْطُوريًا لمشهد الجنازة وكأنه يرفض أن تكون جنازة بشر، فلم يكتف بالإسراء والمعراج، بل أحاط الموقف كله بمشاعر وقصص دينية كي يدفعنا دفعًا إلى الاتفاق معه فيما فرضه.

وأكد الشاعر هذا المعنى الأسطورى على امتداد القصيدة، حين صوره كالقدر يقضى ما يشاء ولا ينطق عن هوى، بل هو كالأهرام والنيل والسد العالى والأزهر فقال :

نحن لولا الموت قلنا إنه	كان كالأقدار يقضى ما يشاء
لو سُئلنا فديةً فى دمه	لافتدته كُل نَفْس بالدِّماء
كان لا ينطِقُ فينا عن هوَى	أو يقولُ القول للناس رثاء
كان كالأهرام مَجْدًا وعَلا	كان كالنِّيل انطلاقًا ووفاء
كان كالسّد شُموخًا ونَدى	كان كالأزهر طُهرًا ونقاء
كان فى تاريخنا أكرم مَنْ	كَرَّم العِلمَ، وزكّى العلماء
وَرَعَى الفَنَ وحيّا أهله	وحباهُم بأكاليل الثَّنَاء
وحمى الدّين ونادى بالتُّقَى	فى زَمان قَلَّ فيه الاتقياء
واصطفاهُ ا لله للعُرب، فما	كان إلا خامسًا فى الخُلفاء

ولا مندوحة لنا عن القول إن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت منعطفًا خطيرًا فى مسيرة تطور المجتمع المصرى، مثلما كانت عاملاً محوريًا أصيلاً فى تنامى كاريزما الزعامة الناصرية وتألقها. يؤكد ذلك سجل حافل بالإنجازات السياسة والاجتماعية الكبيرة، ورصيد ثرى من تأييد الجماهير ومساندتها. فتألقت زعامة عبد الناصر، فأسلمته الجماهير مقاليدها، وحبته ذاك الشرف بعدما تبين لها عمق إيمانه بحرية الوطن والمواطن، وجسارة نضاله من أجل تحرير الشعوب المقهورة، فضلاً عن ثقته الكاملة فى فعالية دور مصر بحكم الموقع والمكانة والتاريخ. «وما كان بوسع جمال عبد الناصر .. أن يتنصّل

من هذا الدور، أو يعزف عن مباشرته .. وكان فوزه الأكبر هو ارتفاع هامة مصر، وتقلدها مكانة رفيعة وسط الجماعة الدولية، وارتداد أثر ذلك على شخصه كزعيم مناضل جسور، لا تلين له قناة، ولا يفت في عضده هزيمة هنا أو انكسار هناك، مما عزز من كاريزما زعامته، وأكد مصداقية قيادته شعبه(٣٣).

هكذا تكونت كاريزما الزعامة الناصرية، وعلى هذا النحو نمت وتألقت، كلا مركبًا، أفرزته جدليات التفاعل بين الذات وبين معطيات المجتمع والثقافة والتاريخ، وساعدت على نموه وتألقه منجزات الثورة ومؤازرة الجماهير، وهكذا تحددت مصادر النظرة الأسطورية إلى تلك الزعامة التاريخية، التى راحت تتضخم وتتكثف حتى أضحت واقعًا حيًا سجلته قصائد الشعر.

وجملة القول إن المجتمع المصرى لم يعرف زعامة كاريزمية، وليت أمره، وخلبت لب جماهيره ووجدانها، وحظيت بحبها وتقديرها وولائها المطلق قبل -بل غير- جمال عبد الناصر(٣٤)، الذى قدم نموذجًا طيبًا لزعامة تاريخية فذة، شغلت الناس فى حياتها، واختلفت حولها الآراء، وستظل تختلف لأمد طويل.

هوامش الفصل الأول

---

[1] عفيفة الحصني، ديوان وفاء، القاهرة ١٩٦٦، ص ٢٧.

[2] السابق، ص ٣٧

[3] السابق، ص ٣٩.

[4] السابق، ص ٤٧ - ٤٨.

[5] السابق، ص ٤٩.

[6] السابق، ص ٥٢.

[7] السابق، ص ٥٦.

[8] السابق، ص ٦٠ - ٦١.

[9] السابق، ص ٦٥.

[10] السابق، ص ٧٠.

[11] ديوان باقات من الوفاء يقدمها شعراء الإسكندرية، الإسكندرية ١٩٧٠.

[12] عفيفة الحصني، ديوان وفاء، ص ٢٨.

[13] السابق، ص ٣٦.

[14] السابق، ص ٤٦.

[15] حلمي مرزوق، ديوان الملحمة الوطنية، ص ١١٤.

[16] علي الجندي، ديوان ترانيم الليل، ص ٥٢.

[17] صالح جودت، ديوان ألحان مصرية، ص ١٨٦.

[18] محمد إبراهيم أبو سنة، ديوان حديقة الشتاء، الأعمال الشعرية، ص ٤٨١.

[19] أبو آمنة حامد، ديوان ناصريون نعم، ص ٢٩، دار النجاح، بيروت، ١٩٧١.

[20] مجلة الرسالة الجديدة، العدد الأول، مايو ١٩٧١، ص ٧٤.

[21] السابق، ص ١٨.

[22] قصيدة بعد الوداع، مجلة الهلال، عدد أكتوبر ١٩٧٠، ص ٣٠.

[23] السابق.

[24] كتاب تذكارى، وداعًا عبد الناصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١، ص١٢.

[25] السابق، ص ٤٩.

[26] السابق، ص ٦١.

[27] السابق، ص ٧١.

[28] ديوان باقات من الوفاء، يقدمها شعراء الإسكندرية.

[29] السابق

[30] السابق.

[31] السابق

[32] مجلة الهلال، أكتوبر ١٩٧٠.

[33] د. السيد الزيات، فى سوسيولوجيا بناء السلطة، ص ٣٤٣، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠.

[34] السابق، ص ٣٣١.

الفصل الثانى

عبد الناصر الثائر

كان عبد الناصر ثائرًا، لا يعرف الدعّة، أو السكينة، كما لم يعرف المساومة أو الخضوع، استطاع أن يلهب مشاعر الجماهير بذلك الإيقاع الثورى الحاد المتلاحق، وتلك المعارك المتصلة بغير فتور.

وانصهر المجتمع كله فى بوتقة الثورة، ودار فى فلك قضاياها على جميع الأصعدة داخليًا وخارجيًا، وجمع الناس بين الثائر والثورة، وربطوا بينهما على نحو غير منفصم، ونشأ أدب ثورى يناصر الثورة وينطلق على هدى مبادئ الثائر وإنجازاته ومعاركه، واندفع كبار الكتاب يؤيدون هذا الأدب الثورى الواقعى الجديد المناصر لقضايا المجتمع، والذى ينهض على أساس من التجربة الحية الجديدة للإنسان والشعب، مؤكدين أن هذا الأدب الثورى الجديد هو أدب المستقبل[١].

وهكذا انطلق فى أدبنا العربى الحديث منذ عام ١٩٥٦ وبفضل الثورة المصرية الظافرة اتجاه جديد يمجد الإنسان، ويمنحه القيمة، ويعطيه دور البطولة فى كل الأحداث، وهذا الإنسان الجديد المحوط بالرعاية والاهتمام هو إنسان الثورة الذى يتحد فيكون الجماهير التى هى البطل الحقيقى فى المرحلة الجديدة، بعد أن أعلت الثورة من شأن الفرد والمجتمع[٢].

وانخرط فى هذا الاتجاه الجديد شعراء كثيرون، جُلُّهم من الشباب، شكلوا تيارًا قويًا واسعًا، احتل مكانه الو اضح تحت شمس الأدب، وسجل شعراؤه أسماءهم فى الحياة الأدبية مثل محمد كمال عبد الحليم، وصلاح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطى حجازى، ومحمد مهران السيد، وعبد الرحمن الشرقاوى، وكيلانى حسن سند، وكامل أيوب، وأمل دنقل، ونجيب سرور وغيرهم.

وآمن هؤلاء الشعراء بأن الفن الأمثل هو الفن الثورى، صاحب الدور القيادى فى المجتمع، وينشأ هذا الدور استجابة لظروف المرحلة التى تقتضى من الفنان التزامًا بقضايا أمته وعصره، واعتناقها والصدور عنها، رفضًا للظلم ونضالاً ضد القوى الاجتماعية الفاسدة، وإيمانًا بقيمة التضامن فى القضاء على أعداء الوطن والثورة داخليًا وخارجيًا، وتأكيدًا لأهداف الثورة، ورغبة فى بناء المجتمع الجديد.

ونجح عبد الناصر الثائر، بفضل أفكاره الثورية، فى أن يحدث ثورة فى شتى مناحى حياة المجتمع، ومنها الشعر، فقد آمن الشعراء بأفكاره ومبادئه، وصار الشاعر ثائرًا مناضلاً يدافع عن قضية، ويلعب دورًا قياديًا، ويسعى إلى تثوير المجتمع، ويحفظ ركب الثورة من كل سوء.

لقد صار الشاعر ملتصقًا بـأرض الواقـع بكـل قـوة و لم يعـد مجرد مبدع حالم هـائم فـى ملكـوت الكـون، وبلـغ الأمـر بالشـعراء درجة جعلتهم يرون فى إسـهامهم بـالفكر والقلـم فـى حيـاة المجتمـع والدفاع عنه أمرًا غير كاف، فراح الشـاعر يحلـم بسـاعة يحمـل فيهـا السلاح بيده ليقاتل الأعداء ويسد بجسده طريقهم إلى الوطـن، فهـذا عبد الرحمن الشرقاوى يأسف لأنه لم يشترك بجسده ويده فى مقاومـة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بعـد عجـزه عـن العـودة مـن الخـارج إلى مصـر بسـبب العـدوان، وانقطـاع خطـوط المواصــلات الدولية، فأصابه الغيظ والحزن والكمد، فقال :

والغيظ من قطع الطريق

والحزن إذ أنى حرمت من اشتراكى فى المعارك

قد كنت أحلم أن يكون دمى فداء الآخرين

قد عشت أرجو أن أخوض المعركة

لا بالقلم

بل باليمين

قد عشت أحلم أن أسد بجثتى ذاك الطريق

كى لا يمروا[٣]

فالشاعر الثورى صار يرى أن الموقف الثـورى كـل متضـافر يلتحـم فيـه القـول بـالفعل، فـالموقف الثـورى لا يعـرف التجزئـة أو التقسيم، فالشاعر يؤمن بـالثورة ويغنـى لهـا، لكنـه يشـترك بيـده فـى ترجمـة الأفكـار والأهـداف إلى حقـائق تنبـض وتنهـض علـى أرض الواقع.

وهكـذا يعلـن أحمـد عبـد المعطى حجـازى إيمانـه بـالثورة، والتحامه بالجماهير الظافرة التى دفعتها قيم الثورة إلى العمـل والحيـاة الكريمة، وقد فتحت أمامها أبواب السيادة والعزة، ويرى ذلك ظفـرًا جديرًا بالإثبات ليخلد على الزمن :

فلتكتبوا يا شعراء أننى هنا

أزاحم الجموع

أخوض بحرًا أسمر المياه

أخوض بحرًا من جباه

بحر الحياة –ما أشد عمقه– بحر الحياة

طوفانه يا شعراء سيد مهيب

يمضى فتنحنى السدود

ويفتح الضياء ألف كوة عليه

ويطلق البوق النحاسى النشيد[٤]

واجتهد الشعراء فى تصويرهم لجماهير الثورة الفتية التى تقهر المستحيل، فالحديث عن الإنسان دائمًا متصل بالإنسان الثورى الجديد، كما أنه مرتبط بشخص الزعيم قائد الثورة الذى يدفع الجماهير ويوحد العرب، وهو أيضًا حديث يرفع شعارات الثورة مثل الحرية والعدالة والسلام، وهى الشعارات السياسية ذاتها التى رفعها الزعيم الثائر وألح عليها، وراحت ترددها الجماهير فى كل مكان.

فلتكتبوا يا شعراء أننى هنا

أشاهد الزعيم يجمع العرب

ويهتف (الحرية .. العدالة .. السلام ..)

تلتمع الدموع فى مقاطع الكلام

وتختفى وراء الحوائط الحجر

....

يا شعراء يا مؤرخى الزمان

فلتكتبوا عن شاعر كان هنا

فى عهد عبد الناصر العظيم(٥)

فالشاعر يرفع الشعار الثورى ويغنى له ويتغنى به، ولا يقف عند ذلك، بل يعتز مباهيًا أنه عاش فى عصر عبد الناصر العظيم،

ويصرخ بذلك كى يُسْمِع الدنيا جميعًا. وحتى تسجله صفحات التاريخ فخرًا واعتزازًا.

ويجاهد الزعيم الثائر لتحقيق الجلاء وطرد المحتل الغاصيب، ويعلن أن على الاستعمار أن يحمل عصاه على كتفه ويرحل، وتعيش الجماهير أمجد المشاعر الوطنية بجلاء الجنود البريطانيين عن مصر فى يونيو ١٩٥٦.

وتخفق القلوب كلها فرحًا لرفع العلم المصرى على مبنى البحرية ببورسعيد، إعلانًا للاستقلال وتتويجًا لكفاح الشعب، وتحقيقًا لوعد الزعيم الثائر، وتأكيدًا على عزة الثورة الشعبية، وفى هذا انتصار للحرية والحياة، وتحقيق لأمل عزيز طالما ناضلت الجماهير من أجله، ويفرح صلاح عبد الصبور برفع العلم المصرى فيقول فى قصيدته "مرتفع أبدًا" :

لترتفع، لترتفع، يا أيها المجيد

يا أجمل الأشياء فى عينى أنت يا خفاق

يا أيها العظيم، يا محبوب، يا رفيع، يا مهيب

يا كل شيء كان فى الحياة أو يكون

يا علمى، يا علم الحرية(٦)

وهبّ الشعراء يمجدون الثائر بطل الجلاء، وقد أزاح عن

صدر مصر كابوسًا كانوا يظنونه لا يزول وتأججت روح الثورة ومشاعر الفرحة فى صدور الجماهير، وتتالت قصائد الشعراء تحيى بطل الجلاء وتكيل له أمجد الصفات، فهو محقق الآمال البعيدة، والمظفر، والمنصور، النور بين يديه، والسعد يحيطه، له فى العيون جلال وبهاء، وفى جبينه أمارات الطهارة والتقى، وله خصال الحزم والتوفيق والرأى والتدبير يقول على الجندى :

بطل الجلاء ومن به نلنا المنى — أنت المظفَّر فى الوغى المنصور

النور بين يديك يَسْعَى جَهْرَة — واليمن خلفك والسعود يسير

وعلى جبينك للطهارة وَسْمَةٌ — وجلالة –ملء العيون– ونور

والحزم والتوفيق حيث توءمنا — والرأى والتدبير حيث تشير(٧)

لقد حقق بطل الجلاء ما عقدته عليه الجماهير من آمال عراض، وكيف لا وهو صاحب الحزم والتوفيق والرأى والتدبير، فارتفع العلم المصرى فى بوسعيد تحوطه خفقات القلوب، وقد كان لزمن طويل أملاً طالما داعب عيون المصريين، فكان رفع العلم المصرى تحقيقًا لوعد البطل الثائر، ورمزًا للعزة وتأكيدًا لحياة السيادة بعد جلاء المحتل، واستعادة لمكانة مصر بين الأمم. يقول أحمد عبد اللطيف :

فوق القناة تجلّتْ رفعة العلم — تحكى لنا قصة طالت ولم تنم

تحكي لنا قصة الأجداد رائعة فيها الجهاد يصارع بغي منتقم
كان الجلاء له رمزًا لعزتنا حتى سعدنا على فيض من النعم
رفع الرئيس لنا علمًا نمجده فيه منانًا ونفديه بحر دم
صرنا نعيش تنادينا سيادتنا حتى ننافس سادة الأمم(٨)

ويسعد عبد العليم القبانى بالحرية التى أطاحت بالقياصرة والدخلاء، والذل والألم المكبوت، وأعادت لنا الكرامة والنور والنصر :

اليوم لا قيصر عات ولا خدم ولا دخيل له فوق الربى علم
اليوم عادت إلى الوادى كرامته واستشرف النُّورَ مَنْ أَهْوَتْ به ظُلَم
مضى الزمان الذى إمساوءه رهب وصبحه كهلال الشك متهم
تفجر الألم المكبُوتُ وانطلقت من فورة الوعى فى أعماقنا حمم
ومن أحس دبيب الذل فى دمه أولى به النصر أو أولى به العدم(٩)

وأعلن الثائر عبد الناصر تأميم قناة السويس المصرية ليسترد لنا حقًا سليبًا، وليؤكد العزة والسيادة الوطنية، وحتى تنهض مصر بتنفيذ مشروع السد العالى، فرقصت قلوب المصريين فرحًا بتأكيد السيادة المصرية فى كل شبر من أرض الوطن، وكسر شأفه الاستعمار والاحتكارات العالمية، وتعاظمت مشاعر الإحساس بالقوة فى نفوس الثوار.

وجن جنون الدول الاستعمارية العظمى، وتآمرت إنجلترا وفرنسا مع إسرائيل لغزو مصر واحتلال القناة، وتأديب الثائر، وكسر شوكة الثورة، وتابعت الجماهير بكل الحماسة الأحداث التى تلاحقت عقب قرار التأميم، مثل عقد مؤتمر لندن، وانسحاب المرشدين الأجانب من القناة، وإنذار الدول الكبرى لمصر، وغيرها من الأحداث التى بلغت قمة تصاعدها بوقوع العدوان الثلاثى.

وذهب الثائر إلى الجامع الأزهر رمز القوة الدينية الهائلة ليعلن من فوق منبره أننا سنقاتل ولن نستسلم، وسندافع عن أرضنا حتى آخر رجل وآخر قطرة دم، فاشتعلت مشاعر الناس حماسة ووطنية وإصرارًا على دحر العدوان. وأبرز الشعراء موقف الثائر قائد الجماهير فى هذا الموقف العظيم.

فى الجامع الأزهر المعمُور صَيْحَتُه	**دوت عليه فهَزّت ثابت العمد**
قد قال قولته، شدت عزائمنا	**"إنا نقاتل" فى حزم وفى كبد**
مادام قد فرض الباغى مقاتلة	**فيها الوقود لدينا روح متقد**
إنا نجالده حتى يغادرنا	**إيماننا ثابت بالصبر والجلد**
قلنا : فداك دماء فى الوغى طَهُرَتْ	**والوالدُ المفتدى فى نُصْرَةِ الولد[١٠]**

وكتب الشاعر محمد المهدى المجذوب عددًا من القصائد انفعالاً بالعدوان الثلاثى وأحداثه توجه فيها إلى الثائر بطل النيل،

يصوره ويمجده، ويشد أزره ويؤيده، في تصديه للاستعمار، ومن ذلك قوله :

فيا بطل النيل، ويا روجه ... ويا فارسًا يَشْتَهيه الخيالْ
صلاتُكَ في الجامع الأزهرى ... صلاة النبى لدى المعركة
يبايعه الفئة المؤمنون ... على قتلها الفئةَ المشركة
ونخرج للفئة الجائرة ... وأعلامنا حرة ثائرة
نلاقى منيتنا الحاسرة ... بأوجهنا الحرة السافرة
ونستر بالدم أعراضنا ... لآلئ في اللجج الزاخرة

وهيهات أن تسقط القاهرة
محال محال محال محال(١١)

وكان من نتيجة دحر العدوان الثلاثي وهزيمته أن صار عبد الناصر رمزًا عالميًا للنضال ضد الاستعمار، وصارت دعوته دعوة عالمية للتحرر ونبذ الاستعمار، وتبعت الشعوب المقهورة خطاه المناضلة ضد كل أشكال التبعية والإذلال في كل أنحاء العالم واشتعلت حماسة المصريين، وتأجج الشعور الوطني نتيجة الإيقاع السريع المتلاحق للأحداث والتهب الشعراء بشعارات الثائر الذى أعلن انخراطه في الثورة العالمية ضد الاستعمار وأعوانه، واتحد الموقف النضالي لكل الثائرين، وصارت معاركنا جزءًا من منظومة الثورة

الشاملة ضد الاستعمار فـى كـل مكـان وأولهـا الأرض العربيـة التـى تقاوم الاستعمار، و لم يفصل الشـعراء بـين مقاومـة العـدوان الثلاثـى على مصر وبين التصـدى للاسـتعمار فـى كـل مكـان مثـل فلسـطين والجزائر والملايو وأفريقيا وآسيا. فهذا محمد كمال عبد الحليم يهـدد العدو، ويؤكد تمسكه بأرضه ووطنه، ويعلى قوة الثورة، فقوة الثـورة واحدة، وحركة التحرير عامة :

دع سمائي، فسمائي محرقة

دع قنالى، فمياهي مغرقة

واحذر الأرض فأرضى صاعقة

هذه أرضى أنا

وأبى قال لنا

مزقوا أعداءنا

....

أنا عملاق قواه كلُّ ثائر

فى فلسطين وفى أرض الجزائر

والملايو، وشعوب كالبشائر

تنبت الأزهار من بين المجازر(١٢)

لقد تألقت زعامة جمال عبد الناصر الثورية، ولم يعد زعيمًا ثائرًا لمصر وحدها، بل قائدًا لثورة التحرر الوطنى فى الأمة العربية، وزعيم الثورة الوطنية فى كل دول العالم الإسلامى والعالم الثالث، وكان عبد الناصر الثائر واعيًا لخطواته مدركًا لمداها، وضرورة تتابعها، ولذا قال منذ بداية ثورة يوليو ١٩٥٢ : «لن نستطيع أن ننظر إلى خريطة العالم نظرة بلهاء، لا ندرك بها مكاننا على هذه الخريطة ودورنا بحكم هذا المكان. أيمكن أن نتجاهل أن هناك قارة إفريقية شاء لنا القدر أن نكون فيها، وشاء أيضًا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا سواء أردنا أو لم نرد ؟ أيمكن أن نتجاهل أن هناك عالمًا إسلاميًا تجمعنا وإياه روابط لا تقر بها العقيدة الدينية فحسب، وإنما تشدها حقائق التاريخ ... كل هذه حقائق أصيلة ذات جذور عميقة فى حياتنا، لا نستطيع مهما حاولنا أن ننساها أو نفر منها ... إن ظروف التاريخ مليئة بالأبطال الذين صنعوا لأنفسهم أدوار بطولية مجيدة قاموا بها فى ظروف حاسمة على مسرحه، وإن ظروف التاريخ أيضًا مليئة بأدوار البطولة المجيدة التى لم تجد بعد الأبطال الذين يقومون بها على مسرحه. ولست أدرى لماذا يخيل إلىّ دائمًا أن فى هذه المنطقة التى نعيش فيها دورًا هائمًا على وجهه يبحث عن البطل

الذى يقوم به، ثم لست أدرى لماذا يخيل إلىَ أن هذا الدور الذى أرهقه التجوال فى المنطقة الواسعة الممتدة فى كل مكان حولنا قد استقر به المطاف منهوك القوى على حدود بلادنا، يشير إلينا أن نتحرك، وأن ننهض بالدور ونرتدى ملابسه فإن أحدًا غيرنا لا يستطيع القيام به»[١٣].

هكذا كان عبد الناصر يؤمن أن القدر قد اختاره لأداء هذا الدور، وكان يعتقد فى داخله أنه الشخصية المصطفاة لأداء البطولة التاريخية التى أرهقها التجول فى العالم بحثًا عنه. لقد اتخذ من التاريخ القدوة والمثل فى أن البطولة الجيدة يصنعها الأبطال بأنفسهم فى ظروف حاسمة، وأن البطولة الهائمة على وجهها تبحث عن بطل قد وجدت فيه ضالتها أخيرًا.

فلا مشاحة فى أن بطولة عبد الناصر، وأداءه لدور قيادى عالمى قد انبثقا من داخله أولاً، إيمانًا راسخًا، ويقينًا أكيدًا بأنه المهيئ لهذا الدور التاريخى، وظهر ذلك واضحًا فى كلماته وشعاراته ومواقفه، فقد كانت الثورة المصرية بالنسبة له نقطة البدء، لينطلق بعد ذلك إلى دوائر أوسع تنتهى بالثورة العالمية.

ومنذ هذا التاريخ ظهر فى حياتنا جهاز إعلامى قوى مثير، قادر على زرع أفكار وحقائق ثابتة، جهاز إعلامى خطير قادر على

صنع اهتمامات الجماهير وحشدها وتوجيهها إلى حيث يريد، وكان ذلك دليلاً على قوة تيار الثورة واتساعه، وقدرته على تغيير الواقع، وصنع واقع جديد. ومنذ هذا التاريخ أيضًا برز الثائر عبد الناصر رمزًا عالميًا للثورة ضد الاستعمار، وضد هيمنة الدول العظمى على مقدرات الشعوب الصغيرة، وأبرز الشعراء صورة الثائر العظيم فى شتى مواقفه ومواقعه، وأبرزوا شعاراته وأفكاره حتى أضحت مادة أساسية للشعر العربى، فهذا شاعر لبنان محمد حبيب صادق يقول فى قصيدته (فارس العرب)[١٤] :

عالمًا فى بواطِنِ الكَرِّ والفَرِّ	جلودًا لا يألونَ اقتحامًا
تفتدى المتعبين بالراحة الكبرى	وتجلُو عن القلوب السَّقَاما
سل موالى الإقطاع فى أرض مصر	من بنى عِزِّها وأرسى الدّعاما
من أجار العمال من ليل ذل	فانبروا للحياة صيدًا كرامًا
وسل الضاربين فى التيه عنه	ضوءهم كان، ماءهم والطعاما
لم يَلُحْ للجموع حتى رأته	حلمها الشهم، زندها الصمصاما
عاهدتك الجهاد فى الزَّعْزَعِ المر	اقتداء وأسلمتك الزماما
سيد القول إذ يكون ابتداء	لكفاح أو أن يكون ختاما
قولك الفعل فى قرار المعانى	قولك الفصل إن أردت انحساما

وهذا شاعر اليمن إبراهيم الحضرانى، يقول[١٥] :

صمـودك الفـذ والأحداث عاصفة مـرت بنا مثل موج البحر يلتطم

علمتنا كيف تسمو النفس صاعدة بالفرد، والفرد قد تسمو به الأمم

وتبارى الشعراء فى تسجيل مختلف المواقف والمعارك، بل إن منهم من أوقف عطاءه الشعرى على هذا الجانب الـذى رأوه متسـقًا مع طبيعة الموقف الثورى الجديد للشاعر الجديد.

واندفع الشعراء يمجدون الثائر ويرددون شـعاراته مثـل (إننـا أمة تحمى ولا تهـدد، تصـون ولا تبـدد) ومثـل (نسـالم مـن يسـالمنا، نعادى من يعادينا) و(تشد أزر الصديق، ترد كيـد العـدو) و(تؤكـد العدل وتدعم السلام) وغيرها من الجمل السائرة التـى كـان يطلقهـا الثائر، فالشاعر يصف الأمة بقوله :

قـام البنـاء بهـا من عـزم ناصرها

لا ترتجـى غير توفيـق لبانيهـا

أجـرى بها خيـرات عـزٍّ جانبـهـا

حتى تجلـى عليها فضـل مجريها

فـى دولة لم (تهـدد) غيرهـا، صعدت

ولم (تبدد) و(تحمى) ظهر حاميها

(تقوى) على الدهر فى تحقيق وحدتها

(توحد) الرأى لا (تفريق) يطويها

(تسالم) الحر لا (تفريط) يدفعها

إلى التخلف بل تبنى بأيديها

(تشد أزر صديق) رام عزتها

(ترد كيد عدو) رام يرميها

(تؤكد العدل) فى صدق تريد به

(دعم السلام) لمن فيه يواليها[١٦]

وأبرز الشعراء شخصية عبد الناصر ثائرًا محبوبًا، تلتف من حوله الجماهير حبًا وتأييدًا، ولذا فقد صنع المعجزات وأزرى بالأمجاد جميعًا بعد أن أقام مجدًا عريضًا لا يطاول، يقول الشاعر محمد برهام :

الكل خلفك لا حزب ولا شيع — وهم دعاء إذا انفضوا أو اجتمعوا

يا ثائرًا تحت جنح الليل فى ثقة — وهمة بجسيم الأمر تضطلع

يلوذ بالصمت والأقدار ناطقة — يحدد الخطو، والآمال تتسع

حتى رمى، ورمت أيد تسانده — فبارك الله ما جاءوا وما صنعوا

جمال أزريت بالأمجاد أجمعها والريح عاتية تذرو وتقتلع

أقمت مجدًا عريضًا لا تحيط به عزائم، فإذا رامته يمتنع

يا باني السد جلّت آية عجب وأنت للآى خلاق ومبتدع[17]

ويتصل الحديث عن الثائر البطل دائمًا بالحديث عن الثورة الماجدة، التي اشتعلت فنشرت السلام وحققت الأمل :

فاعجب بثورة حق حيثما اشتعلت كانت سلامًا على الأوطان يندلع

عيشي لألف من الأعياد هانئة وأنت مغنى أمانينا ومنتجع

وتغيرت لغة الخطاب الشعرى، وصار الشاعر يعبر فى قصائده عن شعور فياض بالعزة والكرامة والتميز، بفضل ما تجسد على أرض الواقع من شعارات الثائر العظيم، فهذا محمود غنيم يعلن على الدنيا أن مصر حرة، وحاكمها أحد أبنائها الكادحين :

أيها الشرقُ اذعْهُ نبأ يقرعُ الآذانَ فى الغرب صداه

أنَّ مصر حُرَّةٌ فى أرْضها شعبها يُبرم فيها ما يراه

لم تعد مصر طعامًا سائغًا لجياع الغرب من شاء طهاه

لم تعد تحكم مصرًا أسرة تشترى العرش بإحناء الجباه

دولة حاكمها من أهلها شعبها الحر من الشعب اصطفاه

كادح ما أترفته نعمة عرك الدهر طويلاً وبلاه

مــا رأى فــى مهــده ملعقـــة   مــن نضــار خــالص تمــلأ فــاه

لا على ســلطانــه يخشـــى ولا   يرهب الفقر إذا الفقر اعتــراه[١٨]

لقد تجسدت فى قصائد الشعراء فكرة الثـورة الشـاملة، فلـم يعد الشاعر يرفض المستعمر ويصب غضبه على الاستعمار فحســب، بل يتحدث عن مقاومة الاستعمار فى كل دولة مثل الكونغـو وغانـا والجزائـر وغيرهـا. ويمجـد أبطـال الثـورة والتحريـر مثـل لومومبـا ونكروما وغيرهما، لكن عبد الناصر ظل النموذج الأعلـى للثـائر ذى الصوت القوى المـدوى لتحريـر الشـعوب المقهـورة. يقـول الشـاعر محمد الفيتورى :

يا وطنى

عبارة الناصر من ورائه

مظلة على الأفق

وسيفه المهند الصقيل

فى لون الشفق

وجبهة الناصر صانع البطولات

تكاد لا ترى من العرق

وددت لو قبلت تلك الجبهة السمراء

فهى سحابة ترش الأرض بالنماء

وهى حمامة بيضاء

طارت ألف ميل[١٩]

وهكذا أفاض الشعراء فى إبراز شخصية الثائر الـذى ينهـض بالأعمال الماجدة وغير التقليدية، والـذى يتوجـه بندائـه إلى الجماهـير وليس إلى مجلس أو مؤسسة كما جرى العرف.

ومن الحق أن نقول إن الرئيس الثائر حين اتخذ مـن الجماهـير شرعيته وجعل منها مرجعيته فإنه بذلك قد نجـح فـى أن يقيـم نظامـه على أساس من مقولات ضخمة تدغدغ خيـال ووجـدان الجماهـير، لكنها فى الواقع والحقيقة غير محددة ماديًا أو علميًـا علـى نحـو يمكـن إدراجه تحت أى تصنيف فكرى أو بشرى، فمثلاً حـين أصـدر الثـائر قرارات التأميم لعدد كبير من مصادر الثروة والإنتاج لدى المواطنـين، قال إن الملكية قد انتقلت إلى الشعـب، وهلل الناس وفرحوا، فى حين أن الشعب لم يمتلك شيئًا، وانتقلت الملكية إلى الدولة، وهو مـا يمكـن أن يدرج اقتصاديًا تحت عنوان رأسمالية الدولة. ودارت الأيام وصـار

الشعب الذى لم يمتلك شيئًا مسئولاً عن تسديد ديون تلـك المنشآت الاقتصادية التى لم يمتلكها.

والأمر نفسه نراه فى كلمة الجماهير التـى طالما توجـه إليهـا الثائر وخاطبها وعبر عنها وانطلق فى قراراته علـى هـدى منهـا، فـلا أحد يعرف من هى هذه الجماهير، وكيف يمكن أن تجتمع معًا، بدليل أن الثائر حـين ألغـى التنظيمـات السياسـية السـائدة وابتكـر كيانـات سياسية جديدة تجسدت آخر الأمر فى شكل الاتحاد الاشتراكى، قال إنه يعبر عن تحالف قوى الشعب العامل، وعلى الرغم من هـذا عجـز الناس جميعًا عن تعليل سبب تحديـد هـذه القـوى دون غيرهـا، كمـا عجزت الدولة والشعب معًا عن تعريفها فى تحديد قاطع.

ولكن الشعراء غنوا للثائر، كما غنوا للجماهير التـى يناديهـا وهو يعلن أن الحكم للشعب الذى صار يحكم نفسه بعد أن تحرر مـن نير الاستعمار والقصر والملكية وغيرها :

ثـار الأبـى وفيـه سـرّ عزتنـا ... نـادى فكنـا لـه قلبًـا وآذانًـا

نادى (الجماهـير) أن تحيا معمـرة ... حتـى تحيـل خـراب الظلـم عمرانـا

قـد قـال قـول شـجاع مـاجد بطـل ... (الحكـم للشـعب) لا نرضـاه قربانـا

إعلاننـا (حقنـا فـى حكـم أنفسـنا) ... من عزة الحق و(التحريـر) قـد حانـا

صار النظام (بجمهورية) صلحت فيها التقينا، على الإخلاص لقيانا[٢٠]

وكلما أطلق الثائر شعارًا سارع الشعراء كى يسجلوه فى قصائدهم تأكيدًا للمد الثورى، وحين قال : «إن على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل» قال الشاعر :

قال الرئيس لمن قد عاش محتالا	(ارحل) ودعنا وإلا كنت قتالا
طالت علينا عهود الظلم باغية	وأنت (عهد بغيض) بيننا طالا
(احمل عصاك)ولا ترجع لنا أبدًا	يا مدّعى الحق، كم أظهرت إخلالا[٢١]

وحين تحقق الجلاء الإنجليزى عن مصر، ورحلت قوات الاحتلال، مجّد الشعراء الثائر الذى طرد المحتل القوى، ورفع علم بلاده حرًا، وكرروا ألفاظه وشعاراته السياسية، مثل :

قلنا له قولة هدّت عزائمه	(احمل عصاك) على كتف يغادرنا
قمنا (نثور) لنطرده على عجل	لكنه قام مغرورا، وقاومنا
وفى (القناة) تجلت من بواسلنا	مباهر النصر تخزيه، فسالمنا
قد نكس الرأس فى علم ينكسه	ثم اعتلى علم فيه مفاخرنا
وقبل (الناصر) المأمول جبهته	ثم انثنينا نناجى فيه (ناصرنا)
نجم التحرر فيه المجد مؤتلق	يسعى إلينا وروح ا لله ساعدنا[٢٢]

واهتم الشعراء كثيرًا بكل الألفاظ والتعبيرات السياسية التى أطلقها الثائر وكانت دائرة فى هذه المرحلة، لأنها كانت تعبيرًا عن الثورة وقوتها، والولاء لها، وتعبيرًا عن الواقع الثورى الملتهب فراحوا يتحدثون عن (الدفع الثورى) و(اليد التى تبنى)، وغيرها من الألفاظ والتعبيرات التى أعلنتها الثورة، وأكثر الثائر من استخدامها مثل :

واليـــوم نحيـــا آمنيـــن أعـــزة والشعب مسعود بصدق ولائه

فى (دفعه الثورى) يبنى مجده (بيد) الأمان لخيره ورضائه[٢٣]

وبفضل شعارات الثائر واستجابة الناس لها صار الشاعر مشغولاً بتمجيد الثورة وإعلائها، وبيان أنها ثورة للجماهير تمحو عنهم العار، وتصنع لهم الواقع المجيد، وتزهر فى غدهم الأمل الرائع والموال الجميل، وتحطم تماثيل السادة، وتعلى شأن الكادحين، يقول عبد الوهاب البياتى فى قصيدته (إلى عبد الناصر الإنسان) :

أيا جيل الهزيمة، هذه الثوره

ستمحو عاركم، وتزحزح الصخره

وتنزع عنكم القشره

وتفتح فى قفار حياتكم زهره

وتنبت أيها الجوف الصغار برأسكم فكره

سيغسل برقها هذى الوجوه وهذه النظره

ستصبح هذه الحسره

جسورًا وقناديل

زهورًا ومناديل

ويصبح باطل الحزن أباطيل

وتزهر فى فم الشعب المواويل

ستهوى تحت أقدامك يا جيلى التماثيل

وتسقط عن رؤوس السادة التيجان

وتجرفها رياح الكادحين لهوة النسيان(٢٤)

وبعد أن يبرز الشاعر الثورة على هذا النحو الرائع الذى يدغدغ مشاعر الكادحين والمحرومين والمسحوقين، وكل المتطلعين إلى غد أفضل، ينتقل إلى عبد الناصر الثائر الذى يشبه البرق والنهر، ويأتى مع التاريخ والقدر ليهز سلاسل التاريخ ويصنع تاريخًا حديدًا للشرق والإنسان، ويدعو الشعراء جميعًا إلى أن يوجهوا قصائدهم إلى المارد الثائر الذى جاء ليغير وجه الحياة من حولنا :

فهذا البرق لا يكذب

وهذا النهر لا ينضب

وهذا الثائر الإنسان عبر سنابل القمح

يهز سلاسل التاريخ

مع المطر

مع التاريخ والقدر

ويفتح للربيع الباب

فيا شعراء فجر الثورة المنجاب

قصائدكم له، لتكن بلا حجاب

فهذا المارد الثائر الإنسان

يزحزح صخرة التاريخ

يوقد شمعة فى الليل للإنسان

أما الشاعر السورى محمد عمران فيصف الرئيس الثائر بأنه حين ينادى (يا إخوتى) يهل صوته كالعبير المسحور، والأفق الطيب

والفجر الندى، ويسكر الناس على حروف كلماته فتبقى كالضوء، كالشلال، كالرعد، كالبركان، كالصور ينفخ فى قبور الراقدين :

يهل صوتك يا جمال

فجرًا ندى الضوء، ريان الظلال

أفقًا من الأطياب، مسحور العبير

واحات ظل في الهجير

"يا إخوتى يا كادحين

يا زاحفين إلى النهار

اليوم فجركم المبين

اليوم ينتصر النهار"

ونظل نرتشف الحروف المسكره

حتى تغيب

ويعود صوتك يا جمال

كالضوء، كالشلال، يدفق كالجبال

كهدير نبع فى الصحارى الظامئات

كالرعد، كالبركان، كالقدر العتيد

كالصور ينفخ فى قبور الراقدين

وتهب ضيعتنا، وتسمر الوجوه الشاحبة

والعائدون من الحقول يزغردون

واللاهثون الميتون

يستيقظون ويرقصون

فى يوم بعثهم الجديد(٢٥)

لقد روى عبد الناصر بمواقفه الثورية عطش الجماهير إلى الثورة ضد كل مظاهر الكبت والتخلف والحرمان، فصارت الثورة حديث الشعر، أما شخص الثائر عبد الناصر فقد غدا النموذج والمثال، حتى غدا الشاعر يتباهى بأن بلاده بلاد جمال، يقول الشاعر رفيق الخورى :

لأن بلادى حقول

تموج سنابلها الخيَّره

وتسحر ليلاتها المقمره

ويسم زيتونها للدوالى

لعرس القطاف، لعيد الغلال

يريدون إغراقها بالدخان

ببارودهم .. بليالى الخطر

لأن بلادى بلاد الرجال

بلاد النضال

بلاد جمال

ستبقى بعين الطواغيت شوكة

وتبقى بلاد العصافير والبرتقال(٢٦)

وراح الشعراء يؤكدون له إيمانهم بمبادئه، وسيرهم على طريقه، فلم تعد شعاراته الثورية وقودًا يلهب نفوسهم، بل صارت منهج حياة، وموقفًا أبديًا ضد كل الغاصبين. يقول الشاعر السودانى الهادى آدم :

قسمًا بوجهك لن نعيش وبيننا	**متسلط بالدس والإيقاع**
وبمنطق الجبروت نأخذ حقنا	**قسرًا وليس بمنطق الإقناع**
إنا كما علمتنا، وأردتنا	**لن نستكين لواقع الأوضاع(٢٧)**

وأفاض الشعراء كذلك فى تصوير شخصية القائد الثائر، وإبراز الولاء له، وتعظيمه وإسباغ الصفات عليه، والتأكيد على صفات الصدق والإخلاص والوداد له، فهو الناصر بعد نصر الله :

نفدى الذى قد صار يفدينا ويحفظنا ... من كل طاغ، وبالإيمان يرفعنا
نفديه بالروح فى صدق وإخلاص ... مع الوداد، وحب المجد يجمعنا
من ذا سواه نعاهده ونقدره ... وهو الذى -بعد نصر الله- ينصرنا
فى جمهوريتنا نرعى العهود له ... فى كل بادرة نلقاه يعهدنا
إن الرئيس قد اخترناه فى ثقة ... من دفع ثورتنا بالخير يسعدنا[٢٨]

والحديث عن هذا الجانب فى شخصية عبد الناصر، يضعنا أمام حقيقة أساسية التزم بها طويلاً فى حكمه، وكانت سببًا فى الخلاف السياسى الكبير معه -كما يظهر فى الفصل القادم- تلك هى الشرعية الثورية التى التزم بها دون حاجة إلى الالتزام بقانون أو دستور أو عرف أو تقليد، فالثائر كان فى حاجة إلى بناء مجتمع جديد، وبناء إنسان جديد، هما مجتمع الثورة وإنسان الثورة، ومن ثم كانت القوانين وغيرها تمثل عائقًا أمام الدفع الثورى المنشود، فضرب بها جميعًا عرض الحائط، والتزم بنوع جديد من الشرعية هى الشرعية الثورية، فالدولة فى حالة ثورة، والثورة لها منطقها الخاص الذى يغاير منطق القانون والدستور، وكليهما يضبط إيقاع الجماهير وينظم الحركة السائدة فى المجتمع.

ولما كانت الثورة تبنى مجتمعًا جديدًا وإنسانًا جديدًا، تكـون الأمور التقليدية والمستقرة غير صالحة لها، فـالثورة فـى ذاتهـا خـروج على التقليدى والمستمر، ومن هنا اعتمد الزعيم على الشرعية الثوريـة التى أتاحت له أن يبطش بأعداء الثورة والمخالفين لهـا، كمـا أتـاحت تصنيف المواطنين إلى ثوريين، وعمـلاء، ورجعيين، ورجعيـة جديـدة والثورة المضادة، وغيرها من التصنيفات التى شاعت فى هذه المرحلة.

لقد كان عبد الناصر زعيمًـا لأول ثـورة كبيرة ناجحـة فـى العالم العربى فى العصر الحديث، «فمنذ إندلاع الثورة العرابية فـى ٩ من سبتمبر ١٨٨١ التى بدأت بحصـار الجيـش المصـرى بقيـادة أحمـد عرابى لقصر عابدين، قصر الخديو توفيق، لم تقم فـى الوطـن العربـى ثورة انفجرت ثم استقرت، ثم غيرت الأمور فى الإقليم العربى الذى اندلعت فيه تغييرًا اختفت له المعـالم الرئيسـية فـى هـذا الوطـن»[٢٩]. فقد غيرت من أمور مصر أكبر أنظمتها، وأبرز سماتها، ومظاهر أقـدم خصائصها، فقد أزالت النظام الملكى، وأطاحت بالملكية الزراعية مـن فوق عرشها العالى، وقطعت دابر النفـوذ الأجنبـى فـى كـل مجالاتـه، وجعلت التعليم مجانيًا فى جميـع درجاتـه، فتغـيرت البنيـة الاجتماعيـة حتى احتل قمة المجتمع أبناء الطوائف التى حرمت قبـلاً مـن التعليـم. ومن ثم، فإن الثورة المصرية قد غيرت الهيـاكل الخارجيـة للمجتمـع، كما غيرت أيضًا من جوهره.

واتسعت دائرة الثورة خارج حدود مصر، فكان أثـر الثـورة المصرية عميقًـا وواسـع النطـاق فـى طـول الوطـن العربـى وعرضـه، فوجدت جميع حركات التحرر من الاستعمار الدعم والتـأييد المـادى والمعنوى من الثورة المصرية، وسقطت رايات الاسـتعمار فـى الجزائـر وليبيا والعراق واليمن وعدن، وزالت القواعد الأجنبية فى الحبانية فى العراق، وفى هويلس والعضم فى ليبيا، وفى عـدن، كمـا زالـت فـى السويس، فانتصر بذلك تيار التحرر والاستقلال بعد سنوات العبودية والإذلال.

ثم قاد الزعيم الثائر حركة الثـورة العالميـة، وظهـرت حركـة عدم الانحياز بزعامته مع تيتو ونهرو فانزعج الاستعمار العالمى، لكـن الشعوب المقهورة اتخذتـه نموذجًـا ومثـالاً، فصـار عبـد النـاصر بطـلاً شعبيًا بكل المقاييس.

لكـن أحـدًا لم يكـن ليقبـل أن تسـحق الثـورة أبناءهـا، وأن يكون حصاد الثـورة علينـا وليس لنـا وهـذا مـا فتـح البـاب واسـعًا للخلاف مع عبد الناصر، وهو خلاف بلغ حد العداء.

ولقد اتفقت موضوعات الشعر العربى فى التعبير عن قضايـا المجتمع التى طرحتها الثورة، وفـى خضـم هـذا الشـعر الثـورى صـور الشعراء كفاح كل الشعوب الثائرة ضد العبودية، والظلم والحـروب، وأشـادوا بـالقيم الثوريـة الجديـدة مثـل الحريـة والعدالـة والمسـاواة

والتحرير، وحكم الشعب، والبناء والعمل، والحياة المنطلقة إلى الأمام.

وكانت بنية القصيدة -أيضًا- ولغتها متسقة -غالبًا- مع هذا الموقف الجديد الذى تميز بالإيقاع السريع، وتحطيم كل الأبراج العالية، ورفع شعارات سيادة الجماهير وإلغاء الفوارق الاجتماعية، واندفاع طوفان المعارك والإنجازات والتهاب المشاعر الوطنية. وتأجج الأفكار والمعانى القومية، وانزواء كثير من موضوعات الشعر القديم وألفاظه، وابتعاد الشاعر عن التأنق الشديد أو التعمق الفلسفى.

هوامش الفصل الثانى

---

(١) رددت ذلك كتابات كثيرة منها جريدة الشعب. العدد ٣٠٢. ٥ / ١٢ / ١٩٥٦ مقال توفيق الحكيم بعنوان "الأدب تجربة وفكر ومعرفة"

(٢) صلاح عبد الصبور، حياتى فى الشعر، دار العودة. بيروت. ص ٨٦

(٣) عبد الرحمن الشرقاوى، ديوان من أب مصرى، دار الكاتب العربى. ١٩٦٨. ص ٤٦.

(٤) أحمد عبد المعطى حجازى، ديوان مدينة بلا قلب. دار الكاتب العربى. القاهرة. ص١٦٤.

(٥) السابق.

(٦) صلاح عبد الصبور، ديوان الناس فى بلادى. ط دار الشروق. ص ٩١

(٧) على الجندى، ديوان ترانيم الليل، دار المعارف. القاهرة ١٩٦٤، ص ٣٩

(٨) أحمد عبد اللطيف بدر، ملحمة الثورة، بورسعيد. ١٩٦٦، ص ٣٢

(٩) عبد العليم القبانى، ديوان أشعار قومية. ص ١٧

(١٠) أحمد عبد اللطيف، ملحمة الثورة، ص ٣٧

(١١) محمد المهدى المجذوب، ديوان نار المجاذيب. الخرطوم، ص ١٩٦٩، ص ١١٥

(١٢) محمد كمال عبد الحليم، ديوان الزحف المقدس، القاهرة د.ت، ص ١١

(١٣) جمال عبد الناصر الرجل والمعجزة، ديوان بيرندرانات، ترجمة عبد العظيم رجب، القاهرة ١٩٧٠.

(١٤) محمد حبيب صادق، قصيدة فارس العرب، مجلة الهلال، عدد أكتوبر، ١٩٧٠، ص ٢٣٠

(١٥) إبراهيم الحضراني، قصيدة الراحل المقيم، مجلة الهلال، عدد أكتوبر، ١٩٧٠، ص ٢٣٥.

(١٦) أحمد عبد اللطيف بدر، ملحمة الثورة، ص ٤٦.

(١٧) محمد برهام، ديوان الشموع، دار المعارف، ١٩٧١، ص ١٠٦.

(١٨) محمود غنيم، ديوان فى ظلال الثورة، دار المعارف، ١٩٦١، ص ١٨.

(١٩) محمد الفيتورى، ديوان اذكرينى يا إفريقية، ص ٢٤٠.

(٢٠) ديوان ملحمة الثورة، ص ١٥.

(٢١) السابق، ص ١٦.

(٢٢) السابق، ص ٢١.

(٢٣) السابق، ص ٦٠.

(٢٤) عبد الوهاب البياتى، قصيدة إلى عبد الناصر الإنسان، مجلة الهلال، عدد أكتوبر، ١٩٧٠.

(٢٥) الشاعر محمد عمران، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٢٦) السابق، ص ١٧٥.

(٢٧) الهادى آدم، قصيدة أكذا تفارقنا، المصدر السابق، ص ١٩٢.

(٢٨) الملحمة الوطنية، ص ٧١.

(٢٩) فتحى رضوان، عبد الناصر، كتاب الهلال، يوليو ١٩٩١، ص ٤٢.

الفصل الثالث

عبد الناصر السياسى

حكم جمال عبد الناصر مصر زمنا طويلاً، كان أقله من وراء ستار، أما أكثره فقد تربع فيه منفردًا على سُدَّة الحكم، في أكبر دولة عربية، وأعمقها تاريخًا، وأثراها تراثًا. وبعد قليل من قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وإلى وفاة عبد الناصر، اختفت من مصر الأحزاب السياسية والانتخابات النيابية الحرة، فلم تعرف مصر الحياة الحزبية أو الديمقراطية، وإنما ساد فيها الحاكم الفرد، والصوت الواحد، والتنظيم السياسى الوحيد، والزعيم الأوحد.

وعلى الرغم من أن ثورة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ كانت تعبيرًا عن طموح شديد إلى واقع جديد، بعد أن ضج الناس من ويلات واقعهم الذى عاشوه فى ظل الحكم الملكى، إلا أن هذه الثورة -بعد قليل من قيامها- صارت تجسيدًا لإرادة شعبية عارمة فى صنع حياة جديدة على هذه الأرض الطيبة. وبغض النظر عن أن هذه الإرادة الشعبية قد تعددت وتنوعت فيها المبادئ والمطامع والأهواء، إلا أنها جميعًا ساندت الثورة التى تحالفت مع كل قوى المجتمع تحالفًا مرحليًا، فالإخوان المسلمون والشيوعيون والعسكريون والسياسيون وغيرهم، قد أيدوا الثورة وأعانوها بهدف أن يصلوا إلى الحكم، وهكذا اندفعت الثورة إلى إعادة بناء المجتمع المصرى، وتجديد تنظيمه الهيكلى على أسس

جديدة. وكما اكتسبت الثورة مزيدًا من الشعبية والتأييد مع كل خطوة من هذه الخطوات، فقد اكتسبت أيضًا مزيدًا من المعارضين والرافضين والمنشقين، وهؤلاء يمكن القول إنهم فى جملتهم من ضحايا الأفكار والقرارات والسياسات الجديدة.

لقد كان أول ما فكرت فيه ثورة يوليو بعد قيامها هو قانون الإصلاح الزراعى، فاكتسبت بذلك عداء كبار أثرياء المجتمع المصرى الذين تمثلت ثروتهم فى امتلاك الأراضى الزراعية الشاسعة. وبعد ذلك بشهرين فكرت الثورة فى إصلاح نظام الإدارة الحكومية و«طرد الموظف الفاسد والمحظوظ والعاجز»؛ فكانت حركة التطهير التى تركت أصداء واسعة بعد أن أطاحت بموظفين كبار ذوى هيبة وسلطان. وتتالت بعد ذلك الأحداث والقرارات فى تتابع دراماتيكى حاد وعنيف، بحيث يشبه كل منها زلزالاً يقلب الأرض ظهرًا لبطن، وأعلنت الجمهورية، فألغيت الملكية وتم القضاء على أعوانها، وكذلك ألغيت الأحزاب السياسية فاختفى الدور الفاعل لرجالها، وأنشئت محكمة الثورة ليمثل أمامها أساطين المجتمع وقادته حتى الأمس القريب، وأقصى أول رئيس للجمهورية وهو اللواء محمد نجيب، وزج به فى المعتقل على الرغم من شعبيته الهائلة. وبعد محاولة الاعتداء على جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية

بالإسكندرية، ضربت الثورة بعنف جماعة الإخوان المسلمين، ، وأمرت الشيوعيين بحل تشكيلاتهم وتنظيماتهم، فاستجاب بعضهم وانخرطوا فى التنظيم السياسى للدولة، وأبى آخرون ذلك ولجأوا إلى العمل السرى فكان نصيبهم الاعتقال. ونشطت قوى اجتماعية تطالب بعودة الحياة النيابية، وإطلاق سراح المعتقلين، وترك الحكم للمدنيين، واستئناف الأحزاب السياسية لأنشطتها. وفى نهاية عام ١٩٥٤، أعلن اتحاد عمال النقل إضرابًا عامًا شل حركة البلاد وتعطلت المصالح، فأنهت سلطة الثورة هذا الإضراب ببطش شديد، وانعقدت الجمعية العمومية لمجلس الدولة «للنظر فى الشئون العامة» برئاسة الأستاذ عبد الرازق السنهورى رئيس المجلس، وأصدرت قرارًا بتأييد الديمقراطية والحياة النيابية، وذكر اللواء محمد نجيب فى كتابه "كلمتى للتاريخ" إن عقاب ذلك كان أن زحفت مظاهرة مدبرة بقيادة ضابط المخابرات حسين عرفة، أحاطت بمجلس الدولة، ومنعت من فيه من الخروج، وعلى رأسهم رئيس المجلس، واعتدى المتظاهرون عليهم بالضرب الشديد، ومزقوا القرار الذى اتخذ. واستمر هذا التتالى البغيض.

وكان طبيعيًا أن يصب معارضو عبد الناصر وشانئوه جام غضبهم عليه وحده، وكان منطقيًا أيضًا أن تشير كل أصابع الاتهام إليه شخصيًا، فهو المسئول الأول فى نظام عتيد، هو محوره وصاحب القول الفصل فيه.

ومن منطق الأمور أن يكتب الشعراء القصائد فى لومه والهجوم عليه فى حدة وبغضاء، ومن منطقها أيضًا ألا تنشر هذه القصائد أو ترى النور، بل راح الناس يتهامسون بها فى مجالس ضيقة، ويتبادلونها سرًا فيما بينهم، وأن يتم ذلك شفاهة بلا كتابة وأوراق، خاصة وقد رددت ألسنتهم قبل منتصف الخمسينات اسم الضابط حمزة البسيونى صاحب القدرة الفذة فى عالم التعذيب والمعتقلات. وبعد ذلك بقليل، كان ذكر أسماء بعينها، مثل البسيونى وعليش وصلاح نصر كفيلاً بإخلاء شوارع إحدى المناطق من الناس إيثارًا للسلامة، وفرقًا من المصير المجهول.

لقد كان الباعث إلى كتابة هذه القصائد الاختلاف الكبير مع عبد الناصر السياسى الذى يتولى إدارة الأمور، وليس للنظرة الأسطورية أو الثورية نصيب فى ذلك؛ بل إن هذه القصائد كانت تأكيدًا على رفضها.

وتساقطت كثير من هذه القصائد من ذاكرة الزمن، بوفاة

حامليها أو اختفائهم من حياتنا ، وبقيت منها أبيات قليلة لدى قليلين . ولقد بذلت جهداً كبيرًا فى محاولة جمع نصيب منها ، لأنها تعبير عن الرأى الآخر الذى لم يكن متاحًا له الظهور الاجتماعى الشرعى .

فكتب الشاعر هاشم الرفاعى[1] يهاجم عبد الناصر عام ١٩٥٦ حين بدأت شمس أسطورته تصعد إلى كبد السماء ، فقد رأى الشاعر أن عبد الناصر راح يمارس مع الشعب دور النخاس مع العبيد ، فيترل بهم الذل والمهانة لأنه مالكهم والمتحكم فى رقابهم ، وليس رئيسهم المنوط به إدارة شئونهم ، فقال :

انزل بهذا الشعب كل هوان   واعد عهود الرق للأذهان
يا وارث الملك العريض منعماً   وأبوك بين الناس لص أتان(٢)

لقد انزل عبد الناصر العسف والهوان بالشعب ، حتى أعاد إلى أذهان الناس صورة عهود الرق والعبودية التى كانت فى التاريخ القديم ، وكأن عبد الناصر قد ورث هذا الملك العظيم الذى لا يطاول ، فراح يتقلب فى ألوان النعيم وكأنها حق مشروع له ورثه عن آله الصيد ، فى حين أن أباه لم يورثه شيئًا من ذلك ، وكعادة المصريين فى السخرية الشديدة من حكامهم غمزه بأبيه .

وحين أنشأ عبد الناصر أول مجلس نيابي أسماه " مجلس الأمــة " ، نظــر الشاعر حوله ، فلم يجد انتخابات حرة ، ولم ير نوابًا أكفاء ، وتذكـــر مــا تعلمه في دراسته لقصيدة أحمد شوقي في مناسبة الانتخابات البرلمانيـــة بعـد دستور ١٩٢٣ ، حين قال :

البرلمــان غــداً يمــد رواقــه ... ظلاً على الوادى السعيد ظليلاً

نرجو إذا التعليم حــرك شجوه ... ألا يكــون على البلاد بخيــلا

ناشدتكم تلك الدمــاء زكيــة ... لا تبعثــوا للبرلمــان جهــولا

فليسألن عــن الأرائك ســائل ... أحملن فضلاً أم حملــن فضولا

إن أنت أطلعت الممثل ناقصًــا ... لم تلق عند كمالــه التمثيــلا

فادعوا لها أهل الأمانة واجعلوا ... لأولى البصائر منهم التفضيلا

فنظر إلى الحاضر في سخط شديد ، وخاطب عبد الناصر عـــام ١٩٥٧ ساخرًا من مجلسه النيابي ، ومعرضًا بنوابه الموافقين والنائمين ، فقال في مطلـع قصيدته :

ها هم كما تهوى فحركهم دمى ... لا يفتحون بغير ما ترضى فما

وختمها بقوله :

ونكبت أمتنا بمجلسها الــذى ... سقتم إليه موافقين ونومــا(٣)

فالشاعر يصف نواب برلمان عبد الناصر بأنهم دُمَى، أى فاقدون للإرادة والتفكير والفعل، أو القدرة على تمثيل الأمة، فلا يفتح أحدهم فمه إلا بما يرضى سيده الذى اختاره وصنع منه نائبًا، فهؤلاء النُّوَّاب ليسوا مجلسًا تشريعيًا، بل هم صوت سيدهم الذى ساقهم قطيعًا كالأنعام إلى البرلمان، فكانوا مصيبة كبرى سقطت على رأس الأمة، فلا يمارسون فى البرلمان غير الموافقة أو النوم. وفى هذه الصفات سخرية مريرة وهجاء مقذع، يبين أى مهانة حاقت بالأمة آنذاك، وأى درك سحيق انزلقت إليه، وأى زراية فاضحة لحقت بهؤلاء النواب الذين دارت الأيام فرأينا أحدهم يرقص داخل المجلس النيابى فرحًا لعدم تنحى عبد الناصر بعد النكسة.

وكان الشاعر هاشم الرفاعى قد كتب فى شهر مارس ١٩٥٥ قصيدة شهيرة بعنوان "رسالة فى ليلة التنفيذ"، نشرت بعد ذلك فى ديوان "جراح مصر"، والقصيدة كأنها رسالة بعثها الشاعر من أعماق السجن إلى أبيه ليلة تنفيذ حكم الإعدام عليه، ومطلعها:

أَبَتَاهُ مَاذا قَدْ يَخُطُّ بَنانِي ... والحَبْلُ والجَلاَّدُ مُنْتَظِرانِ

هَذا الكِتابُ إليكَ مِن زِنْزانةٍ ... مَقْرُورةٍ صَخْرِيَّةِ الجُدْرَانِ

لَـمْ تَبْـقَ إلا لَيلَـةٌ أَحيـا بِهـا وَأُحِـسُّ أَنَّ ظَلامَهـا أَكْفانِـي

سَتَمُرُّ يا أَبَتَاهُ - لَسْتُ أَشُكُّ فِـي هـذا - وَتحمِلُ بَعدها جُـثماني

وراح الشاعر يصور ما يلاقيه السجين في زنازين ذلك العهد، لكنه يعبر أيضًا عن ثورته الغاضبة ضد الظلم والطغيان والتعذيب، مؤكدًا أن لحظة اقتلاع الطغاة وتحطيم الجبروت والسلطان آتية ولا ريب في ثورة عاتية هي الأقوى :

أنفاسُك الحـرَّى وإنْ هـي أُخمِـدَتْ سَـتظلُّ تَغْمُـرُ أُفْقَهُـم بِدُخـان

وَقُروحُ جسمِكَ وهو تَحتَ سِـياطِهِم قَسَماتُ صُبْحٍ يَتَّقيـه الجـاني

دمْعُ السَّجين هُنـاك فـي أغلالـه وَدَمُ الشَّـهيد هنـا سَـيلتقيان

حتـى إذا مـا أُفْعِمَت بِهِمـا الرُّبـا لَـمْ يَبْـقَ غـيرُ تَمَـرُّدِ الفَيَضـان

ومـن العَواصِـف مـا يَكـونُ هُبوبُهـا بَعْـدَ الهُـدوءِ وراحـةِ الرُّبَّـان

إنَّ احتِدامَ النـارِ فـي جَـوْفِ الـثَّرَى أمْـرٌ يُثـير حَفـيظةَ البُركـان

وتَتَـابُعُ القَطَـراتِ يَـنزِلُ بَعْـدَهُ سَـيْلٌ يَليـه تَدَفُّـقُ الطوفـان

فَـيَموجُ يَقْـتَلِعُ الطُّغاةَ مُـزَمْجِـرًا أقْـوَى مِن الجَبَروتِ والسُّـلْطَان

وكتب صلاح عبد الصبور قصيدته "عودة ذي الوجه الكئيب"[٤] يسخر فيها من عبد الناصر سخرية شديدة، ويصور فيها ما أوقعه بمصر من المآسي، وفي مطلعها يرسم صورة

كاريكاتورية قبيحة للزعيم الذى نشر الأسى والخراب ولم ينعم فى عهده سوى الدَجَّال والقواد والقراد والحاوى، بعد أن ساد الإذلال والكذب والأسى :

هل عاد ذو الوَجْهِ الكئيب ؟

ذو النظرة البكماء والأنف المقوس والنُدوب

هل عاد ذو الظفر الخَضيب

ذو المشيةِ التَّيَّاهة الخيلاء تَنقرُ فى الدُروب

لَحناً من الإذلال والكذب المُرَقَّشِ والنَّعيب

ومَدينتى مَعقودة الزنارِ

عَمياء ترقُصُ فى الظلامِ

وَيُصفِّرُ الدَجَّال والقَوَّادُ والقَرَّادُ والحاوى الطروب

فى عُرسِ ذى الوَجهِ الكَئيب(٥)

لقد صور الشاعر عبد الناصر وقد عاد إلى المدينة بعد غياب، فأقيمت الأفراح احتفالاً بعودته. إذن فنحن أمام صورتين، صورة الرئيس العائد، وصورة المدينة المحتفلة بعودته، أما عبد الناصر

فله وجه كئيب لا تهش له القلوب ولا تسعد به العيون، ولـه نظـرة بكمـاء لا تفصـح ولا تبـين، وتلـك كـانت مـن صفاتـه، بحيـث لا تكشف عما فى باطنه، وله أنف طويل مقوّس، وهذه مـن أشـهر ملامحه، وفى وجهه ندوب علامات على القبح، فياله من وجه قبيح منفر احتشدت فيه أمارات التنفير.

لكن عبد الناصر لـه ظفـر خضيـب، علامـة علـى أن يديـه مخضبتـان بدمـاء قتـلاه، وقـروح المعذبـين فـى سـجونه ومعتقلاتـه، ونزيف من افترستهم سياط جَلّاديه. وله أيضًا مشية تياهة خيلاء، شاهدًا على الكبر والغرور، وعدم الاكتراث بالناس، ودليلاً على أنه يرى نفسه فوق الناس وليس معهم، وأنه عليهم وليس منهم. وهى مشية تمعن فـى الإذلال، وتزيـد مـن العنـت، ولـذا فإنهـا تنقـر فـى الدروب، فهى ليس مشية محببة، وليس لوقعهـا صـوت النغـم، إنهـا تنقر، ففى اللفظة معنى الحدة والشدة والأثـر الواضـح، لكنهـا تنقـر لحنًا، واللحن يعزف ولا ينقر، وهذه علامة علـى النشـاز والشـذوذ وعدم قبول النفس لما تسمع، كما إنه لحن من الإذلال لهذا الشـعب الذى وضعته الأقدار حاكمًا له، ولحـن مـن الكـذب المرقـش الـذى يصبه فى آذان الناس ليل نهار بخطبه وكلماته وأجهزة إعلامه، كأن يتحدث عن الأمة والشعب وهو لا يعنى إلا نفسه، وهتـو لحـن مـن النعيب وهذه حقيقة معزوفاته عند من يفهمون شخصه ومراميه.

ويلتفت الشاعر إلى البداية التى تجسد لغزًا وعلامة استفهام، من أين جاء هذا الرجل وكيف جاء ؟ ويصور كيف وقف الناس حائرين عاجزين عن تفسير ما حدث :

من أين جاء ؟

ويقولُ سادَتُنا الأماجِدُ حين يَزْوون الجَبين

شأنَ الثقاةِ العارِفين

مِن السَماءِ...

من أين جاء ؟

ويَظَلُّ أهلُ الفَضْلِ فينا حائرين

ويُتَمْتِمون على مسابِحِهِم وهم يَتلاغَطون

هذا ابتلاءُ اللـهِ ! هذا مِن تَدابيرِ القَضاء

مِن أينَ جاء ؟

وَيَقُولُ أصحابِى وهم كالزعزع النكباءِ قوة

العَزمُ يلمَعُ فى عُيونِهم وتَجرِى فى عُرُوقِهم الفُتُوَّة

من الجحيم

وكَيْفَ جاء ؟

فلا أحد يستطيع تفسير ما حدث، شأن المعميات التى يقف أمامها الإنسان حائرًا عاجزًا، ولذا يلح الشاعر فى السؤال : من أين جاء ؟ ويكرر السؤال دون ملل دليلاً على شدة العجز وعدم القدرة على التحديد. ولا يقصد بسؤاله تحديد الجهة التى جاء منها، لكنه يبحث عن الماهية والكيفية، ولذا ختم أسئلته بقوله: وكيف جاء ؟

ولأن كثيرًا من الناس كانوا ينظرون إلى عبد الناصر نظرة أسطورية، كما ينظرون إلى أفعاله وقراراته على أنها ضرب من الأساطير لغرابتها وشذوذها وعدم توقعها ورفض العقل تصديق إمكانية حدوثها، فقد مثل الشاعر لعبد الناصر بشخصية أسطورية غائرة فى التاريخ، وهى شخصية أبى الهول فى أسطورة أوديب، وهو الوحش القابع على باب المدينة يلقى على كل المارين سؤالاً يكون الموت نصيب من لا يعرف إجابته، فهذا أبو الهول المخيف نصب سرادقًا على باب المدينة وراح يلقى سؤالاً على كل القادمين والعائدين والهاربين والوالجين، والهلاك لكل من لا يقدم الإجابة

التى ينتظرها، فالملتحون رمز للمتدينين بالرسالات السماوية، والأمردون من تعلقوا بالفكر فقط كالشيوعين، وليس هؤلاء ولا هؤلاء يستطيعون تقديم الإجابة التى فى رأس الزعيم، لكن يقدر عليها الكاذبون والمنافقون مثل الدجال والقواد والقراد والحاوى الطروب، فقال :

هذا "أبو الهول" المخيف

نَصَبَ السُّرَادِقَ عِندَ بابِ مَدينَتِي للقادمين

وللعائدين

والهاربينَ إلى الفَضاء

والوالجينَ إلى البناء

لا ، لَم يَدَع أحدًا ...

إلا وألقَى دُونَه هذا السؤال

مَن خالِق الدنيا ؟

المُلْتَحونَ تَهلَّلُوا، وأجابَ رائدُهم بِصَوْتٍ مُستَفيض :

اللـه خالِقُها ...! وهذا لا يَصِحُ به سُؤال

وَعَوَى أبو الهَوْلِ المخيف، وقَلَب الوجه الكئيب إلى اليسار

ورَمَى بِجميعِ المُلتحين إلى الدَّمار

والأمرَدون تأملوا، وأجاب رائدُهم بصوت مستفيض :

لا نستطيع ! بل نحنُ نعرِف ! إنه قدم الطبيعة

وعَوَى أبو الهول المخيف، وقلب الوجه الكئيب إلى اليسار

ورمَى بجمعِ الأمردين إلى الدَمار

وتَقَدَّمَ الدَجَّال والقوَّاد والقرَّاد والحاوى الطروب

وتَضَعْضَعُوا ! قالوا مَعاذَكَ ! أنتَ خالِقُها، أجَل...

أنتَ الزَّمان

أنتَ المكان

أنت الذى كان

أنت الذى سيكون فى آتي الأوان

وعوَى أبو الهوْلِ المُخيف وقلب الوجهَ الكئيب إلى اليَمين

وأشار، ثم تواثبوا فوق الأرائك جالسين

لقد جلسوا إليه، فهؤلاء فقط أصحاب الحظوة والمكانة في عهده الميمون، الدجال والقواد والقراد والحاوى الطروب، لذا قدموا له ما يرضيه، فرضى عنهم وأشار إليهم أن اجلسوا على الأرائك ناعمين، لكنهم لم يتقدموا في هدوء العلماء، أو جلال الأجلاء، أو وقار الأتقياء، وإنما تواثبوا كما يتفق مع طبيعة القواد والقراد والحاوى. واستخدام الشاعر للفعل تواثبوا فيه ثراء يفضح طبائع الأشياء، فاستخدام الفعل بهذا البناء دليل على الافتعال والتكلف ومشقة الأداء، وفي معنى الفعل دليل على عدم معرفة أسلوب التصرف في حضرة القادة، أو فيه إشارة إلى أنهم أقزام لا يرتقون الأرائك في سهولة. لكنه في كل حال سلوك لا يقع في حضرة رئيس إلا إذا كانت الأمور قد بلغت حدًا من الزراية لا يوصف.

وأخيرًا يصل الشاعر إلى السؤال اللازم : كيف الخلاص ؟ فسيظل ذو الوجه الكئيب يصنع بنا البلاء إلى أن يتغمدنا الله برحمته. إنها الموت ولا شيء غيره يخلصنا منه ويعيد البسمة إلى حياتنا :

سيظل ذو الوجه الكئيب وأنفه ونيوبه ...

وخطاه تنقر في حوائطنا الخراب

إلا إذا

إلا إذا مات

سيموت ذو الوجه الكئيب

سيموت مختنقاً بما يلقيه من عفن على وجه السماء

في ذلك اليوم الحبيب

ومدينتي معقودة الزنار مبصرة سترقص في الضياء

في موت ذى الوجه الكئيب

لقد ازدادت ملامح الرئيس قبحًا وبشاعة، فجعل له نيوبًا فوق الوجه الكئيب والأنف المقوس، وجعل خطاه تنقر في حوائطنا الخراب بدل أن كانت تنقر في الدروب. وكلما ازدادت بشاعة الأشياء تطلع الناس إلى الخلاص منها، ولا قادر على تحقيق ذلك إلا الله، لذا تمنى الشاعر له الموت، فنحن أعجز من أن نتخلص منه، وقضاء الله أقدر من أن يفلت منه الظالم. وحدد الشاعر كيفية موت ذى الوجه الكئيب، سيموت مختنقًا بما يلقيه من عفن، وهكذا

ترد إليه أعماله، ويجىء اليوم الحبيب إلى القلوب بعد طـول غيـاب، فترقص مدينته فى النور بِشرًا وسعادة.

ومنذ نهاية عام ١٩٦٤ تنـاهت إلى الأسماع أخبـار حزينـة عن تورط الجيش المصرى فى حرب اليمن، وعلى امتداد أكثر من عامين تتالت همسات الناس عما يدور فى السجون والمعتقلات من تعذيب وإهدار لآدمية الإنسان، وخراب للاقتصاد المصرى، وتغلغل العسكريين فى كل مواقع السلطة والإدارة المدنية، والإطاحة برجال الرأى والفكـر، ومصـادرة الأمـوال والأفكـار، وسـيطرة الرقبـاء والمخبرين على كل كلمـة أو فكـرة، وتسـلق المنتفعـين إلى مجـالات العمل السياسى، وسيادة أهل الثقة دون أدنـى اعتبـار لخـبرة فنيـة أو صالح عـام. وسـحق كـل الاتجاهـات الفكريـة والسياسية، ومنهـا الاتحاد الاشتراكى الذى رفعت الدولة لواءه، ومحاولة تحطيم الرمـوز الأدبية الكبيرة فى المجتمع المصرى مثل القضاء والجامعـة، إضافـة إلى دوى طنين أهازيج الزيف والنفاق.

وأحس الشعراء بالانكسار والألم الشديد وهم يرون الأمـل الحلو يتسرب من بين أياديهم، والمثل الأعلـى يتحطـم شـلوًا شـلوًا، وأن عنف حماستهم وطول أغانيهم كانت عن خداع براق، فوقـف بعضهم يلعن الزيف والنفاق، ويؤكد إيمانه بأمانة الكلمـة، ويرفـض

أقوال المتكسبين بالكلمة، والدائرين فى فلك السلطان، والمتاجرين بالرأى:

لن أترَجَّل

لن يأخذنى الخوف

فأنا الأصغر، لم أعرف بعد مُصاحَبَة الأُمَراء

لم أتعلم خُلُقَ النُدَماء

لم أبِعِ الكلمة بالذَهَبِ اللألاء

ما جَرَّدتُ السيفَ على أصحابى، فرسان الكلمة

لم أخلع لَقَبَ الفارِسِ يَوْمًا

فَـوْقَ أميرٍ أبْكَمَ[٦]

وشاعت نغمة الحزن الغامض فى الشـعر، وأعنـى بغموضـه أنه لم يكن ذا سبب واضح للعامة، إضافة إلى احـتزار الألم الحزين. وكانت قصائد ديوان "أقول لكم" للشاعر صلاح عبد الصبور تعبيرًا مريرًا ومتميزًا عن الألم، فقـد راح يعمـق معنـى الحـزن والأسـى إلى حد بعيد، يقول فى قصيدة "الشىء الحزين"[٧] :

هناك شىء فى نفوسنا حزين

قد يختفى ولا يبين

لكنه مَكنون

شيءٌ غريب غامض ... حنون

ويظل يبحث عن الشيء الحزين المتمكن فى نفسه، فلا يجد غير الحيرة والعجز عن التحديد. وفى قصيدته "الظل والصليب" يؤمن الشاعر بأننا فى زمن السأمِ الذى صنعه الألم العظيم، فلا شيء ذا جدوى أو نفع، حتى يلقى بصرخته المدوية "هذا زمن الحق الضائع" يقطع بها أننا قد أوشكنا أن نغوص فى الضياع التام، لأن ضياع الحق والحقيقة يعنى ضياع كل شيء :

هذا زمان الحق الضائع

لا يَعرِف فيه مَقتول مَن قاتِله ومتى قَتَله

ورؤوس الناس على جُثَثِ الحيوانات

ورؤوس الحيواناتِ على جُثَثِ الناس

فَتحَسَّس رأسَك

فَتحَسَّس رأسَك[8]

وأصدر محمد مهران السيد ديوانًا كاملاً كله قطع من الألم الحزين، يقول فيه :

الناس في بلدى يعبون الشَّجَن

ويبادِلون الليلَ آهاتٍ تَطِن

مَوَّالهُم أبدًا يَئِن

يَستمرئ المأساة من ألِف وألف

ويسير فوق عيونِه السودَاء كَفٌّ

يَدعو أصابعها الزَمَن

حينًا .... وحينًا لا يراها غير أحكامِ القَدَر(٩)

وراح عدد من الشعراء يبرزون مثالب الواقع الاجتماعى الحزين فى محاولة لتنبيه وعى المجتمع وإيقاظه، ونفض السلبية عنه، ودفعه لإدراك مغزى ما يدور حوله. وتتضح قصائد أمل دنقل فى ديوانه "البكاء بين يدى زرقاء اليمامة" بكثير من الألم والحزن السميك بعد أن أظلمت الرؤية، وتحطم المثل الأعلى، وراح يفتقد فى مجتمعه كل ما كان يعتنقه من مبادئ. وكتب "بكائية ليلية" وهى قطعة من المرارة والألم الشديد، ليقول إننا نموت قبل أن نقاتل

العدو، لأننا لم نحدد أهدافنا بعد، فليس العدو فقط خارج الحـدود، بل على أرض الوطن أعداء مثل دعاة الفرقـة وبـائعى الوهـم، ولـذا فإن الرصاصة الأولى ينبغى أن توجه إلى هنا قبل أن توجه إلى هناك:

نتوه في القاهرة العجوز

ننسى الزَّمَنا

نَفِلتُ من ضَجيجِ سَيَّاراتِها وأُغنياتِ الـمُتسوِّلين

تُظِلُّنا مَحطة المِترو مع المساء.... مُتعَبين

وكان يَبكي وَطنًا ... وكُنتُ أبكي وَطنًا

نَبكي إلى أن تَنضبَ الأشعار

نَسألُها : أينَ خُطوط النار ؟

وهل ترى الرَّصاصةَ الأولى هناك ... أم هُنا ؟[١٠]

وهكذا لمعت القصائد التى تعبر عن الحب الشديد والحزن القاتم، وتنتقد ما يدور فى المجتمع، وتحـذر النـاس مـن مغبـة الآتـى، ومن سوء المصير، وسواد المنقلَب. لكن من الحـق أن نقـول إن مـا كتبه الشعراء كان شيئًا شديد الضبابية والإغلاق بحيث لم يصـل إلى

الناس، فلم يكن الشاعر يستطيع الإفصاح أكثر، ولم يجد الناس في القصائد إلا الحزن القاتم. صحيح أن الخاصة كانوا يعرفون معنى الرسالة، لكن هيهات أن ينطق أحدهم.

ولقد أدرك المدافعون عن نظام الحكم معنى الرسالة، فاندفعوا يتصدون لها، وكتب الدكتور لويس عوض يدق أجراس الخطر لظهور طارئ جديد في حياتنا الأدبية، قائلاً : «أما الظاهرة العامة التي طرأت على الخلق الأدبي فهي اتجاهه نحو الجهامة والتشاؤم»[11]. ووصف المسرحيات الكوميدية الجديدة التي تستعين بالرمز وتتزيًا بالتاريخ لتسقط على الواقع بأنها "الكوميديات السوداء". ووصف هذا الأدب الحزين الذي ينبه إلى نقائص المجتمع بـ"الأدب المتشائم"، وتساءل متعجبًا : «فإن لم يكن هذا تشاؤمًا فلست أدري ماذا يكون التشاؤم؟» وعلى الرغم من الأوصاف الحادة التي استخدمها الدكتورلويس عوض إلا أنه دافع عن حرية التعبير، وطالب بدراسة هذه الظاهرة في كل أنواع الأدب بعد أن سرت على مدى عامين.

وذهب الأستاذ محمود أمين العالم إلى أن مثل هذه الإبداعات «قد تبذر البذور السامة في حقول النقاء الثوري»[12] وأنها «خطر على حياتنا الثورية الراهنة»[13] وبلغ الأمر حد التنديد بها لأنها عمل معادٍ للثورة والنظام القائم.

وكتب أمير اسكندر فى جريدة الجمهورية[١٤] يقول : «لا أحد يتصور أن فكرة الشعب المشلول المقهور المضطهد الذى تتحكم فيه عصبة من اللصوص والمرتزقة والأفاقين يمكن أن تكون الصورة الموجودة بعد الثورة».

وهكذا راح عدد من الكتاب والنقاد يصدرون البيانات السياسية السافرة باسم النقد الأدبى، ويستعدون السلطة السياسية ضد الأدباء، ويصفون أعمالهم بالثورة المضادة، بسبب جريمة الأدباء فى الاهتمام بالظواهر السلبية فى المجتمع، وشيوع الحزن والقتامة فى إبداعاتهم.

وليس من شك فى أن ظاهرة الحزن القاتم كانت تعبيرًا عن العجز والانسحاق، وضياع الأمل الحلو، بعد أن بدأت الحقائق تتكشف، وأدرك الشعراء كم كانوا مخدوعين فى أمانيهم وأحلامهم. عاشوا بوعى مستلب، طالما ظنوه مدركًا لحقائق الأمور، وتغنوا بمثال هو والوهم سواء، وعشقوا فاتنة لم تكن أكثر من سراب خادع. وكان لابد أن يصاحب الحزن إحساس بالعجز والقصور. ولكن ظهر من هؤلاء الشعراء من تقدم خطوة أو خطوات إلى الأمام وتجاوز الألم وإبراز المثالب إلى التحذير من سوء

العاقبة ومغبة القادم، فهذا أمل دنقل يحذر فى ألم عظيم منذرًا بالآتى الأسود :

ويكون عامٌ فيه تَحْتَرِقُ السنابِلُ والضروع

تنمو حَوَافِرُنا مع اللعنات من ظَمَأ وجوع

يَتزاحَفُ الأطفالُ فى لَعْقِ الثَّرَى

يَنمو صَديدُ الصَّمْغِ فى الأفواه

فى هدب العيون .. فلا تَرى

تَتساقَطُ الأقراطُ من آذان عَذراواتِ مِصر

ويَموتُ ثَدْىُ الأمِّ ... تَنهَضُ فى الكرَى

تَطهو على نيرانها الطِّفْلَ الرَضيع(١٥)

ومن المؤكد أن هذه القصائد كانت تمثل لونًا من المعارضة السياسية الواضحة، وإن كانت فى دوائر ضيقة أول الأمر، ولم تشر مباشرة إلى شخص الرئيس ونظامه، لكنها تحت وطأة المحاذير الكثيرة نجحت فى أن ترفع صوتًا وتعلن رأيًا.

ووقعت النكسة فكانت حدثًا فارقًا فى حياة عبد الناصر، إذ اندفع كثيرون إلى رفع أصواتهم، وسالت الأقلام بالكتابة، وعلى الرغم من هذا فإن ما نشر كان القليل، ومنه أن الشاعر حسين

عرب كتب قصيدة طويلة تقرب من ثلاثمائة بيت، أسماها "نكبة حزيران" سرد فيها قصة الهزيمة، لكنه صب جام غضبه على الزعيم، ووصفه بأن ثائر كذاب، يعرف مدى الأكذوبة التى يروج لها، وأن ثورته كانت نقمة، فقد بطش بالشعب وهدده وأخافه، ونكل بالإخون المسلمين، وشتت الأمة العربية، وبث فيها الفرقة والبغضاء، فعاث فى الأرض فسادًا، وأنزل بنا الخراب :

فاسْأل الثَّائرَ عَنْ ثَورَتِه ... واسْأل التَّاريخ مِمَّنْ ثارا

أمِنَ الإخوانِ أمْ مِنْ شَعبِه ... أمْ على العُرْبِ تَمَطَّى وَازْدَرَى

عاثَ فى الأرضِ فَسادًا، وَمَضَى ... يَحصُدُ الرَّوْض،وَيُورى الشَّجرا[١٦]

ورَفض الشاعر كل ما ألصقته الشعوب العربية بالزعيم من صفات العبقرية والعظمة، ورآه جاهلاً فارغًا لا يحسن تقدير الأمور، وليس فيه ملكات ولا مواهب، بل أكاذيب وادِّعاء أجوف، وأن خمول الشعوب العربية قد مكن لهذا الدعى فصال وجال وطغى وتجبر :

جاهِل أصْبَحَ فينا رائدًا ... وجَبان راح يَحكى عَنترا

رَكِبَ المَجْدَ على أعناقنا ... ثُمَّ أرغَى مُزبِدًا مُفْتَخِرا

حال فِرعونا، فلما لم يَجِد ... مُنكِرًا، صَارَ إلاهًا أكْبَرا

داعيًا باسمِ الجماهير ولا مِنْ جماهير، ولا من جَمْهَرا[١٧]

ففى هذه الأبيات سب مقذع، فقد وصف الزعيم بالجاهل والجبان، وفرعون والإله الأكبر، وغيرها، مما يدل على سواد الشحنة التى تملأ نفس الشاعر، وعلى خروج القصيدة عن طبيعتها لكونها عملاً فنيًا، إلى أداء أقسى من الهجاء، لكن هذه القصيدة ومثيلاتها دليل أكيد على بعد أثر قرارات وسياسات عبد الناصر فى النفوس إلى درجة بلغت ببعض الناس هذا المدى البعيد من السباب، وأثر فى الصناعة الفنية للقصيدة فابتعد بها عن الشعر، واقترب كثيرًا من حافة النظم.

لقد أغرت هذا الشاعر وغيره أمانيهم بما سيؤول إليه حال عبد الناصر بعد النكسة من الضعف والمهانة بحيث وجدوا فى أنفسهم الجرأة على كتابة مثل هذه القصائد التى اندفع إليها كل أصحاب المرارة الشخصية من عبد الناصر من سياسيين وإخوان مسلمين وغيرهم، فقد ظنوه يوشك أن يلفظ أنفاسه.

ومن أمثلة ذلك القصائد الكثيرة التى كتبها الشعراء عام ١٩٦٨ فى معتقل طره السياسى، حيث كانت كل القوى والاتجاهات والديانات ممثلة فى هذا المعتقل، ومنهم عدد كبير من الشعراء، حتى كان هناك مكان مخصص فى السجن يسمى "عنبر

الشعراء"، ويذكر المعتقلون كيف أنشدهم الشيخ محمد عارف - أحد علماء الأزهر- قصيدة طويلة فى ذم عبد الناصر، وقد حفظوا أبياتها لجمال إيقاعها، وسهولة ألفاظها، ومنها قوله :

أتذكرُ إذْ أبوكَ يُقِلُّ شَنطَهْ ... وَيمشى فى البِلاد يَقُولُ بُوسطَهْ

وقد سَرَق الحِمارَ بذاتِ لَيْلٍ ... لَمَا سَرَقَتْ كلابُ الحيِّ بَطَّهْ[١٨]

ومن اللافت للنظر أن كثيرًا من الشعراء قد عيروا عبد الناصر بأبيه، وسرقة الحمار، التى يبدو أنها كانت من طرائق سخرية المصريين بحكامهم.

ولا ينسى المعتقلون كذلك غناء الشيخ محمد عارف فى السجن ببيت شعر شهير له فى ذم عبد الناصر، وهو :

جَمَعَ الخبائثَ كلَّها بُوفَقْهَشٍ ... نُذُلُ البلادِ، مَعَرَّةُ الأوطانِ

وكان يشرح "فقهش" قائلاً : الفاء للفجور، والقاف للقذارة، والهاء للهلس، والشين شر مستطير.

ومن أمثلة ذلك أيضًا، قصيدة مخطوطة بعنوان "فى ذكرى النكسة" كان الشاعر إبراهيم طلعت[١٩] قد كتبها فى عام ١٩٦٨ فى مناسبة مرور عام على النكسة الأليمة، وحَمَّل فيها عبد الناصر

مسئولية الهزيمة، وإحياء إسرائيل بهذا النصر بعد مواتهـا، ولـذا فلـن يغفر الله له ذنوبه، فقد أنزل الخراب بمصر. ومنها قوله :

النكسةُ الكُبرَى حَمَلْتَ لِواءَهـا ... كالقـائدِ المِغـوار عـاد مُظَفَّـرا

أحْيَيْتَ إسـرائيلَ بعـد مَواتِهـا ... وَبَعَثْتَهـا كـالغُول تَجتـاحُ القُـرى

اللـهُ غَفّـار الذُّنـوبِ جميعِهـا ... لكـنَّ ذَنبَـكَ لا أظُـنُّ سَـيُغفَرا

يا وَيْحَ مِصرَ وقد مَشيتَ برَوْضِهـا ... فَمَحَوْتَ يابسَ غُصنِها والأخضَـرا

يا بـؤسَ للتاريخِ كيف تَفَـتَّحت ... صَفحاتُه لِتَكونَ فيها أسْطُرا[٢٠]

وهذه الأبيات الخمسة كـانت جزءًا مـن قصيـدة تقـع فـى عشرين بيتًا، ظل الناس يتداولونها إلى وفاة عبد الناصر، وبعد ذلـك نشأت حملة سياسية منظمة تهدف إلى النيـل مـن الزعيـم ومؤيديـه، وأطلقت شائعات كثيرة، كما ظهرت كتابات عديدة تبرز المثـالب، وتوجه النقد العنيف، إضافة إلى فتح الباب واسعًا أمام كـل مـا هـو ضد الناصرية. وقد كشفت تلك الحملـة عـن كثـير مـن الجوانـب المظلمة التى كان يجهلها الناس، فاستجاب لها قطاع مـن الجماهـير، كما أنها أتاحت الفرصة لقطـاع آخـر أن يراجع مواقفـه السـابقة، خاصة بعد أن كتب الدكتور إبراهيم عبده "رسائل من نِفاقِسـتان"، وكتـب توفيـق الحكيـم "عـودة الوعـى"، وظهـرت قصـائد تهـاجم الزعيم أو تلومه وتندد بسياسته، خاصة فى جـانبى الحريـة وحقـوق

الإنسان. ومنها قصائد صدرت عن مواقف عقلية، مثل قول حامد نفادى :

إياك أن تطلب منا أن نَثور

فهذه الأمور غير ما عَوَّدتنا

علمتنا الطاعة والمهانة

وأننا لا بد أن نَخاف

كُنت وَحدَك المُغَنِّى

ونحن وَحدنا المُصَفِّقين

وحينما سمعتنا نردد الغناء

سَحَقْتَ فى أفواهنا المَوَّال

كُنتَ تَخاف أن نَمُد الساعِدا

أن نُصبِح السِّهامَ فى يديك(٢١)

ولقد كان من نتائج الحملة السياسية ضد عبد الناصر بعد وفاته أن وجد أصحاب المرارة الخاصة والعداء الشخصى له أو للمرحلة كلها، والذين كان يسميهم الثورة المضادة، والمنافقون،

وجد كل هؤلاء الفرصة مواتيــة تمامًـا كـى يطلـوا بوجوههـم علـى الســاحة مـن جديـد، طمعًـا فـى دور جديـد، أو أمـلاً فـى تصفيــة حساباتهم ضد الماضى، أو رغبة فى التشفى والانتقام. وكـان مـن أبرز هؤلاء بقايا جماعة الإخوان المسلمين الذيـن أخمـد عبـد النـاصر أنفاسهم وكمم أفواههـم أكـثر مـن خمسـة عشـر عامًـا، فـترك فـى نفوسهم جروحًـا غـائرة. وإذ سمـح النظـام السياسـى لكـل هـؤلاء بالتعبير طفقوا يقذفون الزعيم بكل ألوان التهم، ونشـروا كثـيرًا مـن القصائد بأسماء مستعارة، فذاعت كثير من القصــائد التـى لا يعـرف الناس اسم كاتبها، ومثال ذلك ما أشيع عن كسر ماسـورة المجـارى عند مقبرة الزعيم وأن المياه قد جرفت جثته، فذاعت قصيدة للشاعر أحمد فهمى خطاب[٢٢] يقول فيها :

رأسُ الفســادِ تحطَّـــمْ	وهَــوَى بِقــاعِ جَهنَّـــمْ
وانــزاح كــابُوس علـــى	صَــدْرِ العُروبَــةِ خَـــيَّمْ
رَفَــضَ الـثَّرَى جُــثمانَه	وأبَـى الـخَـرى وتَعَظَّمْ[٢٣]

واستثار البيـت الأخـير شـاعرية الأسـتاذ إبراهيـم طلعـت، فأدخل عليه تعديلاً وجعله صدرًا لأشهر قصيـدة ذاعـت بعـد وفـاة عبد الناصر أسماها "المعلقة السوداء"، أدخل فيها قصيدته الأولى "فى

ذكرى النكسة"، وأضاف إليها كثيرًا، وحاول فيها أن يصور الواقع الذى عاشته مصر حتى عام ١٩٧٠، «حتى تليق بما كتب لها من ذيوع وانتشار لم تحظَ بمثله قصيدة فى الشعر العربى منذ قرون، وحتى تكون بعض تراث الشعر العربى المعاصر، تتوارثها الأجيال القادمة كصورة صادقة للتاريخ الذى حاول من قيلت فيه القصيدة أن يزوره أو يمحوه»(٢٤).

ولم تنتشر قصيدة فى العالم العربى كما انتشرت هذه القصيدة، وذاع صيتها وحفظها كثيرون وتناقلوها. «وقد اختلف الناس فى أمر قائلها، فبعضهم نسبها إلى شعراء انتقلوا إلى رحمة الله، منهم المرحوم عزيز أباظة، وزعم بعضهم أن روح أمير الشعراء المغفور له أحمد شوقى أملاها من العالم الآخر على وسيط أعده لذلك الدكتور رؤوف عبيد العالم الروحانى، وآخرون نسبوها إلى أنفسهم»(٢٥).

وقد عارض الشاعر فيها قصيدتين من عيون الشعر العربى، الأولى قصيدة المتنبى فى مدح ابن العميد، ومطلعها :

بادٍ هواكَ صبرتَ أم لم تصبرا وبكاكَ إن لم يَجرِ دَمعُكَ أو جَرَى

والثانية قصيدة أمير الشعراء فى الأزهر، ومطلعها :

قُم فى فَمِ الدُّنيا وحَيِّى الأزهرا   وانثُر على سَمْعِ الزَّمان الجَوْهَرا

فضمن فى قصيدته أشطرًا وأبياتًا من هاتين القصيدتين، وكتب مطلعها :

لَفَظَ الثَّرَى جُثمانَه وتَطَهَّرا   وَرَماهُ فى خَبَثِ المجارى والخرا

وأشار الشاعر مرسى جميل عزيز باستبدال الكلمة الأخيرة لأنها تصدم السمع والحس الفنى، على الرغم من أنها فصيحة، فاستبدلها الشاعر، وقسم معلقته إلى مقاطع بدأها بقوله(٢٦) :

لَفَظَ الثَّرَى جُثمانَه وتَطهَّرا	وَرَماهُ في خَبَثِ المَجارِى مُنكرا
خَبَثٌ إلى خَبَثٍ يَعودُ لأصلِه	لا تَحسبوه جَرَى يَعُبُّ الكَوْثَرا
لا تَحسبوا تحت التُّرابِ عِظامَه	أبَتِ القُبورُ بأن تَكونَ له ثَرَى
هذا الضَّريحُ بِمِصرَ يبقَى قائمًا	عِظَةَ الزَّمانِ وعِبرةً لِمَن افْتَرَى
آمنتُ أنَّكَ يا إلهى عادلٌ	لما سَحَقْتَ الظالمَ المتجبِّرا
وَحَصَدتَ جنتَه وقد دانَتْ له	زَهْراءَ، حتى خَالَها لن تَدبرا
يا رب عَفْوَك لا شَماتَ بِمَيِّتٍ	لكنَّ مَوْتَ القَحْطِ بُشرَى للوَرَى

فالوصف فيه حدة وإقذاع، وشدة وشراسة، بلغت حد السخرية والتشفى بالرجل بعد وفاته، وكأن ما عجز عنه شانئوه فى حياته، ظنوه سهلاً متاحًا بعد موته، وإذ قصروا عن النيل منه قبلاً

فلا بأس من نيل حتفه وعظامه. ويلتمس الشاعر لنفسه الأعذار فيطلب من الله العفو، ويقر بأنه لا شمات بميت، لكن عبد الناصر ليس ميتًا، إنه قحط وبلاء كبير نزل بنا وأزاله الله. ولذا فرحت الأخلاق والمثل العليا بموته الذى استقبلته المدائن والقرى كفرحة الزفاف :

يا فَرْحَةَ الأخلاقِ والمُثُلِ العُلا	إذ زُفَّ نَعْيُكَ فى المدائنِ والقُرَى
يا للحَماقةِ والغُرورِ ظَنَنْتَ زَخْـ	ـرُفَها يَدومُ فَكُنتَ أعمَى لا تَرى
وَحسِبْتَ جَنَّتَك التى شَيَّدْتَها	فَوْقَ الخرائبِ سَوف تَطْرَحُ جَوْهَرا

وهكذا بعد أن وصفه الشاعر بأنه خبث من أصل خبيث، وظالم ومتجبر ومتكبر وقحط، عاد ووصفه بأنه أحمق ومغرور وأعمى، وأحال جنتنا إلى خرائب، واستكمل قائلاً :

قَدَرٌ رَمَى بِكَ مِصرَ كالطاعونِ كالـ	ـطوفانِ، كالزلزالِ جاء مُدمِّرا
حَطَّمْتَ أقدارَ الرِّجالِ بِخِسَّةٍ	وجَعلتَهم سِلَعًا تُباعُ وتُشْتَرَى
فأتاكَ مَن يَسعَى لإفكِكَ جاثيًا	مُتخاذلاً مُستجديًا مُستَوْزِرا
مِن كُلِّ إمَّعةٍ غَبِيٍّ جاهلٍ	يَتلُو تَواريخَ الرِّجالِ مُزَوِّرا
ويقولُ ما تَهوَى وينطِقُ ما تَرى	كالبَبْغاءِ مُرَدِّدًا ومُكَرِّرا
مَن باعَ فى سُوقِ النِّفاقِ ضَميرَه	وَمَشَى على الذَّهَبِ الذَّليلِ مُتَبَخْتِرا

فوصف الزعيم بأنه كالطاعون، والطوفان، والزلزال المدمر، ورماه بالخسة، وأما من يحيطون بـه فهـم: المتخـاذل، والمستجدى، والمستوزر، والإمَّعة والغبى، والجاهل، والببغاء، والمنافق، وبائع ضميره. وفى ذلك مزيد الشدة والإقذاع، وجنوح عن جادة الصواب، وإبراز لموقف شخصى بالغ السواد، ولجاجة فى الخصومة إلى مدى بعيد. واشتط الشاعر فى غلوائه، فوصف يوم ميلاد الزعيم بأنه يوم تعطلت فيه سنن السماء، فولد الخراب الذى تهللت له الأبالسة :

يا ليت أمَّكَ لم تَكُن أو لَيْتَها	ثَكِلَتْكَ يَومَ وُلِدْتَ يَومًا أغْبَرا
يَومًا غَفَت فيه السماءُ وأسْلَمَتْ	للنومِ عَينيها، وداعَبَها الكَرَى
إبليسُ فيه دَعا الأبالِسَ كلَّها	واختالَ فى زَهْوٍ وصاحَ مُبَشِّرا
اليومَ قَدْ وُلِد الخَرابُ فَهَلِّلُوا	وخَبَا الضِّياءُ، وفى الظَّلامِ تَعَثَّرا
مِن عَهْدِ آدمَ كُنتُ أرجو أن أرَى	شَبَحًا يَجِىء مُخَرِّبًا ومُدَمِّرا
يا قَوْمَ إبليسَ اسجدوا لخليفتى	مَن جاءَ بالخَدِّ الصَّفيقِ مُصَعِّرا
فأتيتَ آيتُكَ النِّفاقُ كَذَبْتَ إذْ	حَدَّثْتَ ... بَصَّاقَ الكلامِ مُنَفِّرا
وإذا وَعَدْتَ أو اؤْتُمِنْتَ فَغادِرٌ	اللؤْمُ طَبعُكَ أن تَخُونَ وتَغْدُرا

فاستكمل صفاته للزعيم بأنه الخراب، والمخرب، والمدمر، ومصعِّر الخد الصفيق، والمنافق، وبصاق الكلام، والغادر واللئيم،

والخائن. وقرن ذلك بصورة مُضحكة مبكية ليوم مولده، فجعله يومًا نامت فيه السماء عن يقظتها، فنشط إبليس ودعا الأبالس كلها إلى اجتماع عاجل، ووقف فيهم خطيبًا يملأه الزهو، فبشرهم بميلاد الخراب وتحقق الحلم الأبدى القديم منذ خلق آدم، بأن يولد بشر يتولى مهمة إبليس على الأرض فينشر التدمير والخراب، وأمر الأبالسة بأن يسجدوا لخليفته الصفيق المتكبر، فعم الظلام وخبا الضياء، وجاء الزعيم إلى الأرض آيته النفاق والكذب والغدر والخيانة.

وهذه صورة ساخرة مريرة تعبر عن حقد دفين، وإبراهيم طلعت ذكر لى أنه كان قريبًا من عبد الناصر فى أول الثورة، وأنه رُشِّح للوزارة التى لم تأتِ لسبب غير معلوم، لكنه اعتقل بعد ذلك غير مرة بسبب جموحه وعدم ملاينته، لكن يبقى السؤال: كيف بلغ الشاعر هذه الدرجة من الغضب الأسود الذى حجب عنه كل لون غير ذلك ؟ لقد اشتغل الشاعر بالسياسة منذ صباه، وكان أحد شباب حزب الوفد اللامعين قبل الثورة، واختلف مع الوفد وعاد إليه، ثم اختلف معه وعاد إليه، وبعد أن عاد حزب الوفد الجديد إلى الظهور فى ظل التعددية السياسية فى أيام حكم الرئيس السادات، انضم الشاعر إلى الحزب وتحمس له، ثم ما لبث أن خرج عليه،

وفى ذلك ما يدل على جانب من طبيعة الشاعر، كما يشير إلى جانب من شكل علاقة الشاعر بالكيانات والأنظمة السياسية.

ويلتفت الشاعر إلى شعبه الأبى الذى طالت معاناته فى ظل هذا الحكم، ويمس بعض ما لاقاه الوطن من ويل وثبور، فيقول :

يا أيها الشَّعبُ الصَّبور على الأذَى	قَدَرٌ دَهاكَ صَبِرْتَ أم لم تَصبِرا
يَبدو أساكَ وإن كَتَمْتَ شُواظَهُ	وبُكَاكَ إنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أو جَرَى
حِجَجٌ خَلَوْنَ تَعيشُ فى السِّجْنِ الكبيـ	ـرِ مُحَطَّمًا ومُسَيَّرًا ومُخَدَّرا
يا ليت جُدرانَ السُّجون تَحدَّثَت	تَتْلو على الأسماعِ ما كانت تَرَى
كيفَ النِّساءُ هُتِكْنَ فى حُجراتها	وَيْحَ النِّساءِ إذا لَقِينَ العَسكَرا
الحُرُّ سِيقَ إلى الجَحيم مُكبَّلاً	يَصْلَى لَظى التَعذيبِ حَتَّى يُقْهَرا
والتافِه الصُعلوكُ يَنْفُثُ حِقْدَهُ	وَيَدوسُ بالطُّغيان أعناقَ الوَرَى
اللَّـه لولا لُطْفُه بِعِبَادِهِ	فى مِصْرَ كانت مِصْرُ وُسِّدَت الثَّرَى

فالشعب صبور على الأذى لأنه لا يملك غير ذلك، فالمصيبة أعظم من أن تردها قدرته، لذا فإن أساه أقوى من جدران الكتمان، وبكاه أشد من التحمُّل والتصبر، بسبب ما لاقاه هذا الشعب لسنوات طويلة فى سجنه الكبير، وليس أقسى من أن يكون الوطنُ سجنًا كبيرًا فيه القيود والسدود والسجان والتعذيب،

ويصرح الشاعر بأن أبناء الشعب داخل هذا السجن الكبير قد انقسموا إلى ثلاثة : أولها المحطمون، وهم الذين عمد النظام إلى التنكيل بهم في بطش شديد حتى أحالهم حطامًا لا يستجمع قواه ولا يقوى على شيء، وثانيها المسيَّرون الذين لا يملكون الخروج عن المحاذير والخطوط الحمراء الكثيرة التي وضعها النظام ولاحقتهم ويلاته فخضعوا رغمًا عنهم، وثالثها المخدرون، الذين خدعوا في الزعيم وأقواله وصدقوا أبواقه ووسائل دعايته، فأصابتهم البلادة والرغبة في التصديق وعدم النزوع إلى الفعل.

ويمس الشاعر بعض جوانب الواقع الأليم، فيتمنى لو تحدثت جدران السجون بما رأت وسمعت مما وقع للمصريين في هذا العهد البغيض، حيث كانت تهتك النساء ويساق الأحرار إلى جحيم العذاب الذي لا يدعهم حتى يخروا حطامًا، في حين يمضي الزعيم في حقده وصلفه، ويستكمل الشاعر نعوته لعبد الناصر، فيصفه بالتافه والصعلوك والحاقد والطاغية، فلولا لطف الله لهلكت مصر.

وتغلب على الشاعر نزعته الوطنية، وحبه الشديد لوطنه، فيستنكر ما يقع بهذا الوطن الأبي، ويتعجب مما يرى وكأنه غير مصدِّق، ويشفق على وطنه مما حل به، وما هو فيه، فيقول :

أرضَ الكِنانةِ ما دَهاكِ، وما الذى   جعل المهرِّجَ فيك يُصبحُ قيصرا

يا مِصر حاشاكِ العُقوقُ، وإنما   أرأيتِ كيف الذِئبُ صار غضَنْفَرا

ما أتعسَ النسرَ الجَريحَ وقد رأى   عَلْياءَه فيها البغاث استَنْسَرا

وأنا الذى سَئمَ الحياةَ، لأننى   لا الصَّحْوُ يُنسينى هَواكِ ولا الكَرى

ومن التعاسة أن أعيشَ لكى أرى   وَجْهُ الحَبيبة بالتُّرابِ مُعَفَّرا

فزَجَرْتُ دَمْعى أن يَسيلَ وإنَّما   عَبَراتُه تَخِذَتْ فُؤادى محْجَرا

وكَظَمْتُ في نَفْسى المَرارةَ والأسَى   خَوْفَ الملام وفى الحَشا ما لا يُرى

وهذه النغمة الهادئة التى تغمرها عاطفة جياشة، وتعلق شديد بالوطن المحبوب، بلغ بالشاعر حد أن يسأم الحياة التى لا تريه وجه حبيبته على الصورة التى يحب، فلا يملك إلا أن يحبس دموعه الجياشة، ويكظم مرارته وأساه حتى لا يبدو ضعيفًا، وهى التى جبلته على القوة والشموخ، لذا تعاوده الثورة والقوة، ويلتفت إليها مذكرًا ببعض مالها، فجعلها متميزة على العالمين :

وَطن العَراقةِ والأصالةِ والحضـ   ـارةِ والكرامةِ والضيافةِ والقِرَى

أين العراقة والأصالة والحضـ   ـارة والكرامةِ والضيافةِ والقِرَى

هى لم تزَلْ فى الأرض كل جذورها   وفُروعها كالأمس باسِقَةَ الذُّرَى

إنْ كانَ أخفاها الظَلامُ هُنَيْهةً   سَتعود بعدَ الفَجْرِ أبْهَى مَنْظَرا

لا تَحْزَنــى، إنَّ الــذى قاسَيْـــتِهِ قَدْ كانَ مَكتوبــا عَليـكِ مُسَــطَّرا
وَغَـدًا سَــتلـتَئِـمُ الجِـراحُ، وكُـلُّنا للـثأرِ نَـحيا ... عَـهْدُنا أنْ نَـثْأرا

ففى هذه المقطوعة لم يتعرض الشاعر لشخص الزعيم وإن كان قد وصف عهده بالظلام، بخلاف المقطوعة السابقة -مثلاً- التى وصفه فيها بالمهرج، والقيصر، والذئب. لكنه عمد إلى استنفار همة الأمة للثورة، فمصر وطن العراقة والأصالة والحضارة والكرامة والضيافة والقرى، وهذه جميعًا أقوى من أن تزول، فجذورها ضاربة فى أعماق الأرض، وفروعها باسقة الذُّرَى. وهى جميعًا أقوى من كل طاغية، وأشمخ من كل فترات الزمان. وهيهات أن يحجبها ظلامٌ أو عدوان، لذا كانت الثورة حَتمًا على أبناء هذا الوطن العظيم كى تشرق الشمس من جديد، وتلتئم الجراح.

ولا يعنينا من هذه القصيدة الشهيرة ذائعة الصيت، إلا أن نستدل بها على موقف الشاعر من عبد الناصر، اختلافًا مع سياساته وقراراته، ورفضًا لأسلوب حكمه. وحيث إن الشاعر لا يملك السلطة ولا السجون والتعذيب أو أجهزة الإعلام، وإنما يملك الكلمة، فقد سخرها ضد عدوه وغريمه، فسخر منه وسبَّه، ورفضه قبل أن يرفض سياساته.

فكانت الكلمة سلاحًا شعبيًا ضد نظام حكم بغيض؛ لكنها كانت سلاح المبدعين والمثقفين، أما العامة فكانت الكلمة أيضًا سلاحهم على نحو آخر هو النكتة، وكان لها أيضًا أثر شديد.

لقد اختلف مع عبد الناصر قطاع من جماهير الشعب، ولم يكن سبب هذا الاختلاف واحدًا بل غير واحد، وأيضًا لم تقع القطيعة التى بلغت حد العداء بين الأطراف فى وقت واحد وإن كانت قد تجسدت بشكل واضح قبل نهاية حكمه، وإنما تراكمت ألوان القطيعة والخلاف مع تطور الأيام وتتالى القرارات والسياسات؛ ولذا فقد رأيت هذا جميعًا يندرج فى الموقف السياسى، ولقد عمدت إلى إبراز جانب المعارضة أو الرفض والعداء لأنه الجانب الغامض من هذه المرحلة، ولم أعمد إلى إبراز جانب التأييد والمبايعة؛ لأنه كان الجانب الأظهر فى حياتنا، كما أنه فى جملته يندرج ضمن الفصلين السابقين، وهما: عبد الناصر الأسطورة، وعبد الناصر الثائر.

هوامش الفصل الثالث

(١) كان طالبًا فى كلية دار العلوم، وكتب عددًا من القصائد الحادة ضد عبد الناصر ورجاله ونظامه لم ينشر أكثرها. وقتل بطعنة خنجر وهو يلعب الكرة مع رفاقه.

(٢) يحفظ هذين البيتين عدد من أهل الأدب، وقد سمعتهما من غير واحد، منهم الدكتور عبد الصبور شاهين.

(٣) السابق.

(٤) نشرها الشاعر فى ديوان "الناس فى بلادى" وذكر أنها ضد الاستعمار وأعوانه. لكنه قال لأصدقائه إنها ضد عبد الناصر. وبعد سنوات أكد ذلك الأستاذ أنيس منصور في كتابه (عبد الناصر المفترى عليه والمفترى علينا).

(٥) صلاح عبد الصبور، ديوان الناس في بلادى، ص ٢٩.

(٦) أحمد عبد المعطى حجازى، ديوان مدينة بلا قلب، ص ١٨.

(٧) صلاح عبد الصبور، ديوان أقول لكم، ص ٧.

(٨) السابق، ص ٧٠.

(٩) محمد مهران السيد، ديوان بدلاً من الكذب، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٢٧.

(١٠) أمل دنقل، ديوان البكاء بين يدى زرقاء اليمامة، مدبولى، القاهرة، ١٩٦٨.

(١١) جريدة الأهرام فى ٨ / ٤ / ١٩٦٦.

(١٢) مجلة المصور فى ٢١ / ١ / ١٩٦٦.

(١٣) مجلة المصور فى ٢٢ / ٥ / ١٩٦٤.

(١٤) جريدة الجمهورية فى ٣١ / ٣ / ١٩٦٦.

(١٥) البكاء بين يدى زرقاء اليمامة، ص ١١٢.

(١٦) حسين عرب، الأعمال الكاملة، الجزء الأول، ص ٨٤.

(١٧) السابق.

(١٨) ذكر لى هذه الأبيات الكاتب الأستاذ أحمد رائف.

(١٩) شاعر سكندرى لمع فى الثلاثينيات من هذا القرن، وأصدر خمسة دواوين، واشتهر بلقب العندليب، وعمل بالمحاماة، واشتغل بالسياسة، واعتقل مرات كثيرة.

(٢٠) مخطوط بمكتبتى.

(٢١) حامد نفادى، ديوان امرأة فى محنة، ص ٣٨.

(٢٢) شاعر قاهرى ربطته صلات بأدباء الإسكندرية الكبار، وكان أحد ضحايا المرحلة الناصرية.

(٢٣) مخطوط بمكتبتى.

(٢٤) مقدمة القصيدة بقلم إبراهيم طلعت، مخطوط بمكتبتى.

(٢٥) السابق.

(٢٦) القصيدة كاملة تقع فى أربعة وستين بيتًا فى مخطوط بمكتبتى.

ملحق أشهر القصائد

فى

عبد الناصر

جمال عبد الناصر

للشاعر : نزار قبانى

(١)

قتلناك.. يا آخر الأنبياء

قتلناك

ليس جديدًا علينا

اغتيال الصحابة والأولياء

فكم من رسول قتلنا..

وكم من إمامٍ

ذبحناه وهو يصلى صلاة العشاء

فتاريخنا كله محنةٌ

وأيّامُنا كلها كربلاءْ

(٢)

نزلت علينا كتابًا جميلا

ولكننا لا نجيد القراءَةْ

وسافرتَ فينا لأرض البراءَةْ

ولكننا.. ما قبلنا الرحيلا

تركناك في شمس سيناء وحدكْ

تُكلِّمُ ربَّك في الطور وحدك

وتعرى..

وتشقى..

وتعطشُ وحدكْ..

ونحن هنا.. نجلسُ القُرفُصَاء

نبيع الشعارات للأغبياءْ

ونحشو الجماهير تبنًا وقشًا

ونتركهم يعلكونَ الهواء..

(٣)

قتلناكَ..

يا جبل الكبرياء

وآخر قنديل زيتٍ

يضيء لنا في ليالى الشتاء

وآخر سيف من القادسيهْ

قتلناك نحن بكلتا يدينا

وقلنا المنِّيهْ..

لماذا قبلت المجيء إلينا ؟

فمثلك كان كثيرًا علينا..

سقيناك سُم العروبة حتى شبعت

رميناك في نار عمَّان.. حتى احترقت

أريناك غدر العروبة حتى كفرت

لماذا ظهرت بأرض النفاق..

لماذا ظهرت ؟

فنحن شعوب من الجاهلية..

ونحن التقلبُ

نحن التذبذبُ

والباطنيّة

نبايع أربابنا فى الصباح

ونأكلهم حين تأتى العشيّة..

(٤)

قتلناك

يا حبُنا وهوَانا..

وكنتَ الصديقَ، وكنتَ الصّدوق

وكنتَ أبانا..

وحين غسلنا يدينا.. اكتشفنا

بأنّا قتلنا مُنانا..

وأن دماءك فوق الوسادة

كانت دمانا

***

نفضتَ غُبار الدراويش عناً

أعدت إلينا صبانا

وسافرت فينا إلى المستحيل

وعلّمتنا الزهو والعنفُوانا..

ولكننا..

حين طال المسير علينا

وطالت أظافرنا.. ولحانا

قتلنا الحصانا..

فتبّت يدانا..

فتبت يدانا..

***

أتينا إليكَ- بعاهاتنا

وأحقادنا.. وانحرافاتنا..

إلى أن ذبحناك ذبحًا

بسيف أسانا..

فليتك فى أرضنا ما ظهرت

وليتك كنت نبيًّ سوانا..

(٥)

أبا خالد.. يا قصيدة شعرٍ..

تقالُ

فيخضرُّ منها المدادْ

إلى أينَ ؟

يا فارس الحلم تمضى..

وما الشوطُ. حين يموت الجوادْ ؟

إلى أين ؟

كل الأساطير ماتتْ

بموتكَ.. وانتحرت شهرزادْ

***

وراء الجنازة... سارت قريشُ

فهذا هشامٌ

وهذا زيادْ..

وهذا يُريقُ الدموعَ عليكْ

وخْنجَرُهُ، تحت ثوب الحدادْ

وهذا يجاهدُ في نومه

وفي الصحو..

يبكي عليه الجهاد..

وهذا يحاول بعدك مُلكًا..

وبعْدَكَ..

كل الملوك رمادْ..

***

وفود الخوارج.. جاءتْ جميعًا

لتنظم فيكَ..

ملاحمَ عشقْ..

فمن كفَّروكَ..

ومن خَوَّنُوكَ..

ومن صلبوكَ بباب دمشق..

***

أنادى عليك.. أبا خالد

وأعرف أنى أنادى بوادْ

وأعرف أنَّك لن تستجيبَ

وأن الخوارقَ ليستْ تُعاد..

رسالة إلى جمال عبد الناصر

للشاعر : نزار قبانى

(١)

والدنا جمالَ عبد الناصر :

عندى خطابٌ عاجل إليكْ..

من أرض مصرَ الطيبهْ

من ليلها المشغول بالفيروز والجواهرِ

ومن مقاهى سيدى الحسين، من حدائق القناطر

من تُرع النيل التى تركتها..

حزينة الضفائر..

عندى خطابٌ عاجلٌ إليك

من الملايين التى أدمنت هواك

من الملايين التى تريد أن تراك

عندى خطابٌ كله أشجان..

لكنّنى

لكننى يا سيّدى

لا أعرف العنوان..

والدنا جمالَ عبد الناصر :

الزرع فى الغيطان، والأولادُ فى البَلَدْ

ومولدَ النبىِّ، والمآذن الزرقاء

والأجراسُ فى يوم الأحَدْ

وهذه القاهرةُ التى غفتْ..

كزهرة بيضاء.. فى شعر الأبَدْ..

يُسلِّمُون كلُّهم عليك

يقبِّلُون كلهم يديكْ..

ويسألونَ عنك كلَّ قادمٍ إلى البلد

متى تعودُ للبلدْ ؟ ..

(٣)

حمائمُ الأزهر يا حبيبناَ... تهدى لك السلامْ

مُعَدِّياتُ النيل يا حبيبنا... تهدى لك السلام..

والقطنُ في الحقول، والنخيلُ، والغمامْ..

جميعهُا.. جميعهُا.. تُهدى لكَ السلام..

كُرسيُك المهجور... في منشية البكريِّ..

يبكي فارسَ الأحلامْ..

والصبرُ لا صبر له.. والنومُ لا ينامْ.

وساعةُ الجدار... من ذهولها..

ضيعتِ الأيّامْ..

يا من سكنتَ الوقتَ والأيامْ

عندى خطابٌ عاجلٌ إليكْ..

لكنّنى..

لكننى يا سيدى.. لا أجد الكلامْ...

لا أجد الكلامْ..

(٤)

والدنا جمالَ عبد الناصر :

الحزنُ مرسومٌ على الغيوم، والأشجار، والستائِر

وأنت سافرتَ، ولم تسافر..

فأنت في رائحة الأرض، وفي تفتح الأزاهر..

في صوت كلْ موجةٍ، وصوت كل طائر

في كتُب الأطفال، في الحروف، والدفاتر

في خضرة العيون، وارتعاشة الأساور..

في صدر كل مؤمنٍ، وسيف كل ثائر..

عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ..

لكنني..

لكنني يا سيدى..

تسحقني مشاعرى..

(٥)

يا أيها العلمُ الكبيرْ

كم حزننا كبير..

كم جرحنا كبير

لكننا..

نقسم باللّه العليّ القديرْ

أن نحبسَ الدموعَ فى الأحداقْ..

ونخنق العبرة..

نقسم با لله العلّى القديرْ

أن نحفظ الميثاق

ونحفظ الثورةْ..

وعندما يسألنا أولادنا

من أنتُم ؟

في أى عصر عشتمُ..

فى عصر أى ملهم ؟

فى عصر أى ساحر ؟

نجيبهم : فى عصر عبد الناصر..

اللّه.. ما أروعها شهادةً

أن يوجد الإنسان فى زمان عبد الناصر..

الهرم الرابع

للشاعر : نزار قبانى

(١)

السيدُ نام

السيد نام

السيد نام كنوم السيف العائِد من إحدى

الغَزَواتْ

السيد يرقدُ مثل الطفل الغافى... فى حضُن

الغابات

السيد نامَ

وكيف أصدِّق أنَّ الهرَم الرابعَ مات ؟

القائد لم يذهب أبدًا..

بل دخل الغرفة كى يرتاحْ

وسيصحو... حين تُطل الشمسُ

كما يصحو عطُر التفّاحْ

الخبز سيأكله معنا..

وسيشرب قهوتهَ معنا..

ونقولُ لهُ..

ويقولُ لنا..

القائد يشعُر بالإرهاق..

فخَلّوه يغفو ساعات..

(٢)

يا مَنْ تبكونَ على ناصرْ..

السيدُ كان صديق الشمس..

فكفّوا عن سَكْب العبرات..

السيد مازال هنا..

يتمشّى فوق جسور النيل..

ويجلس في ظل النخلاتْ..

ويزور الجيزة عند الفجر...

ليلثمَ حجر الأهرامات

يسألُ عن مصرَ... ومَنْ في مِصْرَ..

ويسقي أزهار الشُرُفاتْ..

ويصلي الجمعة... والعيدين..

ويقضي للناس الحاجات..

مازال هنا عبد الناصر..

في طمْي النيل، وزهر القطن..

وفي أطواق الفلاحات..

في فَرَحِ الشعب..

وحزن الشعب..

وفي الأمثال، وفي الكلمات...

مازال هنا عبد الناصرْ.

من قال الهرمُ الرابعُ ماتْ ؟

(٣)

يا مَنْ يتساءل : اين مضى عبد الناصر ؟

يا من يتساءلُ :

هل يأتى عبدُ الناصرْ..

السَّيدُ موجود فينا..

موجود فى أرغفة الخبز..

وفى أزهار أوانينا..

مرسومٌ فوق نجوم الصيف،

وفوق رمال شواطينا..

موجودٌ فى أوراق المصحف..

فى صَلَوات مصلّينا..

موجودٌ فى كلمات الحبِّ..

وفى أصوات مُغنّينا..

موجودٌ فى عرق العُمَّال..

وفى أسوانَ... وفى سينا..

مكتوبٌ فوق بنادقنا..

مكتوب فوق تحدينا..

السيد نام... وإن رجعتْ

أسرابُ الطير... سيأتينا..

عودة ذي الوجه الكئيب

للشاعر : صلاح عبد الصبور

***

هل عاد ذو الوجه الكئيب ؟

ذو النظرة البكماء والأنف المقوس والندوب

هل عاد ذو الظفر الخضيب

ذو المشية التياهة الخيلاء تنقر فى الدروب

لحنا من الإذلال والكذب المرقش والنعيب

ومدينتى معقودة الزنار

عمياء ترقص فى الظلام

ويصفر الرجال والقواد والقراد والحاوى الطروب

فى عرس ذى الوجه الكئيب

***

من أين جاء ؟

ويقول سادتنا الأماجد حين يزوون الجبين

شأن الثقاة العارفين

من السماء..

من أين جاء ؟

ويظل أهل الفضل فينا حائرين

ويتمتمون على مسابحهم وهم يتلاغطون

هذا ابتلاء ا لله!! هذا من تدابير القضاء

من أين جاء ؟

ويقول أصحابى وهم كالزعزع النكباء قوة

العزم يلمع فى عيونهم. وتجرى فى عروقهم الفتوة

من الجحيم

وكيف جاء ؟

***

هذا "أبو الهول" المخيف

نصب السرداق عند باب مدينتى للقادمين

وللعائدين

والهاربين إلى القضاء

والوالجين إلى البناء

لا.. لم يدع أحدًا...

إلا وألقى دونه هذا السؤال

من خالق الدنيا ؟

الملتحون تهللوا، وأجاب رائدهم بصوت مستفيض :

ا لله خالقها... وهذا لايصح به سؤال.

وعوى أبو الهول المخيف، وقلّب الوجه الكئيب إلى اليسار

ورمى بجمع الملتحين إلى الدمار

والأمردون تأملوا، وأجاب رائدهم بصوت مستفيض :

لا نستطيع!! بل نحن نعرف!! إنه قدم الطبيعة.

وعوى أبو الهول المخيف، وقلّب الوجه الكئيب إلى اليسار

ورمى بجميع الأمردين إلى الدمار

وتقدم الدجال والقواد والقراد والحاوى الطروب

وتضعضعوا، قالوا معاذك! أنت خالقها، أجل..

أنت الزمان

أنت المكان

أنت الذى كان

أنت الذى سيكون فى آتى الأوان

وعوى أبو الهول المخيف وقلّب الوجه الكئيب إلى اليمين

وأشار، ثم تواثبوا فوق الأرائك جالسين

***

سيظل ذو الوجه الكئيب وأنفه ونيوبه

وخطاه تنقر فى حوائطنا الخراب

إلا إذا

إلا إذا مات

سيموت ذو الوجه الكئيب

سيموت مختنقاً بما يلقيه من عفن على وجه السماء

فى ذلك اليوم الحبيب

ومدينتى معقودة الزنار مبصرة سترقص فى الضياء

فى موت ذى الوجه الكئيب

أغنية إلى عبد الناصر

للشاعر : محمد إبراهيم أبو سنة

***

يا حب بلادى الأول

تبحر فى عينيك الآمال

تبدأ رحلتها

بين خمائل هذا الحب الأجيال

فى مصر العليا

يخفق قلبك

فى الأغنية الصخرية

فوق جواد مندفع أبيض

فى أحجار السد

يخفق قلبك

فى مدن الدلتا

فى الأبنية الطينية

في المدخنة المرتفعة

تشتعل حماسًا

يخفق قلبك

تحت ثياب الريفى المجهد

يعرف سر العالم

فى بضعة أغنام

يخفق قلبك

تحت ثياب العرس

يخفق قلبك

فوق مناديل العشاق

يخفق قلبك

فى مدن الساحل

يخفق قلبك

فى السفن التائهة بأعلى البحر

فى الأغنية العذراء

تنشدها راعية بدوية

فى بهجة حقل

تتدفق فيه مياه الصيف

يخفق قلبك

فوق الأعلام المرتفعة

فى قوس القمر المولود على ظهر الغيم

يخفق قلبك

فى ساعات العشاق

قرب الموعد

يخفق قلبك

فى كل نبات الشاطىء

عبر الجسد الأخضر

فى عينى مصر

يخفق قلبك

فوق منارات البحر

فوق الأبراج

فى الكهف المغلق فى الصحراء

يخفق قلبك

فى الحكمة ينشدها شاعر

يخفق قلبك

فى مأتم طفل

فوق سرير مريض

يخفق قلبك

فى الريح الخارجة من الأنهار

فى الضوء الضاحك فى الأزهار

يخفق قلبك

فى أدغال الصمت

في أعراس الكلمات

في كل فؤاد يبني بيتاً للحب

يخفق قلبك

لكني يا حب بلادي الأول

أسمع في قلبك

خفق فؤاد حبيبتك الساهرة على ضفة نهر

في قلبك تخفق مصر

الليلة الحزينة

للشاعر : محمد عبد المنعم الأنصارى

كنـا نعـود إلى البيـــوت يشـــدنا ... أمـل.. وإن كـان المسـاء حزينـًـا

لم ندفـن الشـهداء بعـد.. ولم تـزل ... عمـان جرحـًا نـافرًا.. وأنينـًا

نستطلع الأنبـاء.. فـى قلـق ثــوى ... كالجمر مـا بـين الضلـوع دفينـا

وجلسـت بـين الجالســين.. لعلنـا ... نلقـى لـدى الأنبـاء مـا يشـفينا

لكـن لـدى الأنبــاء أى فجيعــة ... راحت لهـول جنوننـا.. تلقينـا

أصغيت للنبأ الرهيب،وغصـت فـى ... موج الذهول على الأريكة حينًا

ثـم انتبهـت إلى الجمــوع.. وكلنـا ... يسـتمهل الشـك المعــذب فينـا

فعسـى تعـود لـك الحيـاة.. وربنـا ... بـالمعجزات عليـك ليـس ضنينًـا

أو لسـت معجـزة السـماء ؟ وأننـا ... متنا وكنـت أتيـت كـى تحيينـا

لكنمـــــا لله أى مشـــــيئة ؟ ... نفذت.. وصار الشك فيـك يقينـا

عودتنـــا ألا نفكـــر حينـًــا ... فى الأمر.. حتى كاد لا يعنينـا

وحملـت أعبـاء الحيـاة..جميعهـا ... عنا.. وسرت بها كمـا يرضينـا

وسـألت.. أعطينـاك دون تـردد أغلى الذى قد كـان فـى أيدينـا
فزرعتـه فـى تربـة.. معطـاءة ونمـا نمـاء الحـب فـى وادينـا
ورحلـت عنـا فجـأة.. وتركتنـا من يا ترى-من بأسنا يحمينا؟

عمّان كـانت يـا جمـال.. بدايـة تستنهض الحـزن المخبّـأ فينـا
من بعـد مـا كنـا نسـينا طعمـه زمناً.. ولا عجـب أقـول نسـينا
فلأنـت قـد علّمتنـا ألا نطـأ طيء رأسنا للحـزن كـى يطوينـا
لكنـه بـالأمس عـاد.. كأنمـا يلقـى بكـل حشاشـة سـكينا
الحـزن مـن (عمّان) لا يبقـى علـى شـيء نلـوذ بـه.. ولا يبقينـا
إلاك تتجـه القلـوب إليـك فـى حمـى صـراع كنـت فيـه رزينـا
حتى انتصرت علـى المنون بجولـة وبجولـة أخـرى سقطت طعينـا
فسقطت أروع مـا يكـون بسـالة يا روعة الحزن المهيب.. خذينا
طوفـى بنـا بـين المدائـن والقـرى لنهيم تحـت سمائهـا.. باكينـا
نبكيك يـا غدنـا وحاضرنـا ويـا نـوراً إلى أمجادنـا.. يهدينـا
إن البكـاء يريحنـا.. لكنـه هيهـات مـن آلامنـا يشـفينا

الرئيـــــــس

للشاعرة : عفيفة الحصنى

آمنــت أن الله أرســل نــاصرا ... للعــرب يجمــع شملهم ويعلــم

آمنــت بالبطل الكريــم متممــا ... لرسالة تهــدى الــورى وتقــوم

لمــا رأيتك يــا جمــال منــاصرا ... شــعبا قضــى أعمــاره يتــألم

آمنــت أنك من شــهاب محمد ... كشف الضلال عن الأنام فأسلموا

قتــل الخطــاب الألمعى إنجلتــرا ... فاستنجد الأسد العجوز الأعجم

صيحات شــهم أرهبت أعداءنا ... فتحــيروا وتعثــروا وتظلمــوا

نبرات سحر أثملتنى فى الدجــى ... فمضت تنافسنى العلاء الأنجــم

وأخذت أصغى للخطــاب بلهفة ... ونياط قلبــى شــدها المتكلــم

وأعــانق المذيــاع ناقل صوتــه ... وأضمــه وسط الظــلام وألثم

أصغى وتغشانى الدموع فلا أرى ... إلا جمــالا فى الحشــود يسلــم

حتى اســتعرت جناح طير خافق ... وسعيت نحــو العبقرى أحــوم

ووددت لــو أفنى عــدو نضالنا ... كــل العــدو أبيدهــم وأقلــم

يا صانع التاريخ يـا خـير الـورى يا أيهـا الرجـل العظيـم الملهـم

أحييت فى الترب المخّضل بالدمـا شهداء عرب فاستغاث المجـرمَ

أنعشت فـى سـجن الشـآم بواسـلا كسروا قيودهم الثقـال وأقدمـوا

ألهبت فـى دنيـا العروبـة أنفسا غذى جوارحها الخطاب المفعـم

تسـعون مليونـا يـرون مصـيرهم شمسـا تضـىء وكوكبـا يتبسّـم

فى ركب عملاق الجهاد يقودهم ليطـاولوا الجـوزاء إذ يـتزعم

دم للشعب

للشاعر : صلاح جودت

***

قم واسمعها من أعماقى فأنا الشعب

ابـق فأنت السد الواقى لمنى الشعب

ابق فأنت الأمل الباقى لغد الشعب

****

أنت الخير وأنت النور

أنت الصبر على المقـدور

أنـــت الناصـــر والمنصور

ابق فأنت حبيب الشعب

دم للشعب

***

قـــم إنا جففنا الدمعا وتبسمنا

قم إنا أرهفنا السمعا وتعلمنـا

قــم إنا وحدنا الجمعــا وتقدمنا

قم للشـعب وبدد يأســـه

واذكر غده واطرح أمـسه

قم وادفعنا بعد النكسـه

وارفع هامة هذا الشعب

دم للشعب

قــم للشعب وقل للنــاس قــل للعصر

فوق الجرح وفوق اليــأس عاشت مصر

وغدا ســتحييّ الأجـراس يــوم النصر

قــم إنــا أعددنــا العــده

قــم إنــا أعلينــا الوحـده

فارسم أنت طـريق العوده

وتقــدم يتبعــك الشــعب

دم للشعب

الفهرس

الصفحة

من إصدارات المؤلف

أولاً: في الأدب العربي الحديث

١- اتجاهات الشعر السكندرى فى النصف الأول من القرن العشرين.

٢- خليل شيبوب رائد التجديد الشعرى.

٣- أناشيد الرافعى - دراسة فنية.

٤- أثر النكسة فى الشعر العربى (١٩٥٦ - ١٩٧٣).

٥- الشعر العربى الحديث.

٦- دراسات فى اتجاهات الشعر العربى فى الإسكندرية.

٧- الشعر السكندرى المعاصر.

٨- الميلاد وحكايات الخريف - دراسة فى شعر يس الفيل.

٩- دراسات فى الأدب السعودى - بالاشتراك مع د.عباس عجلان.

١٠- تغريدة البجع - دراسة فى شعر عباس عجلان.

١١- عبد الناصر فى الشعر العربى الحديث.

١٢- فى أدب الأطفال.

١٣- حسن توفيق العدل - رائد الدراسة الأدبية الحديثة.

١٤- تغريبة بنى حتحوت - بين السيرة الشعبية والرواية التاريخية.

١٥- الإعلام والثقافة وأثرهما فى الأدب.

ثانياً: تاريخ الأدب العربي:

١- تاريخ الشعر العربى - جزآن.

٢- شعر الزهد عند غير الزهاد.

٣- أوزان المتنبى وقوافيه لأبى العلاء المعرى - تحقيق ودراسة.

٤- فى الأدب الهازل.

٥- مقاييس الفصاحة فى القرن الخامس الهجرى.

ثالثاً: في النقد الأدبي:

١- النقد الأدبى الحديث.

٢- نحو تنظير نقدى للأدب الإسلامى الحديث.

٣- النقد الأدبى.

٤- توفيق الحكيم ناقداً.

رابعاً: في الثقافة العامة:

١- الإرهاب المقدس - تقديم وتعريب.

رقم الإيداع ٩٠٦٢ / ٩٨

الترقيم الدولى 977-19-6398-8

هذا الكتاب

أول دراسة علمية فى الأدب العربى الحديث ترسم ملامح شخصية عبد الناصر بأقلام الشعراء الذين اختلفت نظراتهم إلى هذه الشخصية الثرية الجوانب و المتعددة الأصداء ، فمنهم من رآه أسطورة فى شخصه وحركاته وسكناته ومواقفه وقراراته ، ومنهم من رآه ثائراً عظيماً حرك سواكن النفوس وأشعل فيها جذوة الثورة التي امتد نطاقها واتسعت امداؤها فصار عبد الناصر زعيماً للثورة العالمية ، ومنهم أيضاً من رآه حاكماً ورئيس جمهورية لهم كل الحق فى الاختلاف مع قراراته وسياستة التى تركت آثاراً بعيدة فى الفرد والمجتمع والدولة والوطن الكبير .هذا الكتاب
أول دراسة فى الأدب العربى ترسم ملامح شخصية عبد الناصر بأقلام الشعراء الذين اختلفت نظراتهم إلى هذه الشخصية الثرية الجوانب و المتعددة الأصداء ، فمنهم من رآه أسطورة فى شخصه وحركاته وسكناته ومواقفه وقراراته ، ومنهم من رآه ثائراً عظيماً حرك سواكن النفوس وأشعل فيها جذوة الثورة التى امتد نطاقها واتسعت امداؤها فصار عبد الناصر زعيماً للثورة العالمية، ومنهم أيضاً من رآه حاكماً ورئيس جمهورية لهم كل الحق فى الاختلاف مع قراراته وسياستة التى تركت آثاراً بعيدة فى الفرد والمجتمع والدولة والوطن الكبير .

أما المؤلف الدكتور عبد الله سرور فقد دأب على أن يهز العقول ويحرك كوامن النفوس بما إمتازت به كتاباته من جرأة بالغة وقدرة على طرح أفكار جديدة ونظرات فريدة فى الأدب العربى .

وبعد ... فهذه دراسة غير مسبوقة تضيف إلى غيرها حقيقة أن عبد الناصر قد شغل مكاناً خاصاً فى قلوبنا وحياتنا وقدم نموذجاً لزعامة فذة شغلت الناس فى حياتها ، واختلفت حولها الآراء ، وستظل تختلف لأمد طويل.

الناشر

